AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد ارأبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2024م
www.ajsp.net

مظاهر الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم في جهود سيبويه النحوية

إعدادالباحث:

الدكتور محمد قسيم آخندزاده

(الأستاذ المشارك ومدرس العلوم اللغوية والبلاغية في قسم اللغة العربية في كلية الآداب واللغات الأجنبية بجامعة كابل)

الملخص:

المقال هذا محاولة متواضعة في سبيل البحث عن جهود سيبوية في الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الدرس البلاغي واللغوي، يحتوي المقال على مقدمة موجزة توضح أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة ومنهج الباحث، كما يحتوي في الوقت نفسه على فكرة موجزة عن العلاقة بين الدرس النحوي والبلاغي، وبالإضافة إلى ذلك يعرفنا المقال في سطور بداية بالإمام سيبويه وكتابه الموسوعي، وبحقيقة الملاحظات البلاغية في كتاب هذا الإمام، ثم يضع بين أيدي الدارس شواهد تدل على جهود الإمام الراسخه في الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم، والتي تتمثل في تحليله للآيات القرآنية في ضوء المعاني البلاغية والصورة البيانية معا.

الكلمات المفتاحية: الدراسات البلاغية، المقام، السياق، المعاني البلاغية، الصور البيانية.

المقدمة

نحمد الله عز وجل بما أنعم علينا وحده، ونصلي ونسلم على من لا نبي بعده الذي كان – ولازال – الصادق الأمين، سيدنا وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، و على من تبعهم بإحسان، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين. أما بعد؛ فقد من الله عز وجل على محمد– صلى الله عليه وسلم– بإنزال الفرقان المبين ليكون معجزته الكبرى، وآية نبوته العظمى، وهو في الحقيقة كلام رفيع المستوى يتألف ظاهرا مما يتألف منه كلام العرب، ففاق أحاديث أفصحهم بما في تعبيره من الأسرار البلاغية التي قلما يتمكن الإنسان أن يضمنها كلامه، فتحدى به الرسول – صلى الله عليه وسلم – إثباتا لرسالته الناس قاطبة، والعرب خاصة وهم كانوا أصحاب سليقة بلاغية ومن ذوي الموهبة البيانية، فعجزوا عن نقض تحديه ثباتا وفرادا، فلم يخطر يوما ببال أحد منهم إلى يومنا هذا أن يعرض نفسه في سبيل المعارضة لتلك الفضيحة التاريخية، فأكبوا منذ أول عهد نزوله على دراسة أسباب قوته، ودراية وجوه إعجازه دراسة صامتة أساسها السليقة البيانية، والذوق اللغوي الفطري، فمنهم من خضع طوعا

لسلطانه، واعترف شجاعة على أنه فوق طاقة البشر، وأنه حق لا مرية فيه قد جاء ممن خلق الإنسان وعلَّمه اللغة والبيان، فآمن وأسلم، ومنهم من تكبر واستكبر، وأقبل في المعارضة إلى أسباب العنف والشدة، وقصد المقاومة عنتا بلا جدوى، وبالإضافة إلى ذلك أقدموا على إثارة الشكوك حول هذه الوثيقة الإلهية، ولم يستقر لهم في ذلك الرأي، فسموها مرة شعرا، ورموها أخرى بأنها سحر، و حكموا عليها ثالثا بأنها سجع الكهان، كما ظنوها رابعا أساطير الأولين تملى على صاحبها بكرة وأصيلا، واتخذ تلك التهم تدخل طورا جديدا في الآونة الأخيرة ابتداء من القرن الثاني الهجري حيث بدأت الملكات اللغوية والبلاغية عند العرب تضعف، كما أخذ الأمم الآخرى كذلك تعتنق هذه الديانية السماويه شرقا وغربا، وظهرت في المجتمع الإسلامي اتجاهات فكرية وفلسفية جديدة نتيجة التلاحم الشديد بين الثقافات المتعددة العربية والفارسية والهندية والرومية، وأصبح فهم النصوص القرآنية في حاجة إلى معرفة الأسرار اللغوية والبلاغة التي تكمن وراء التعبير اللفظي، فشمر العلماء عن سواعد الجد للعمل في هذا المجال، وأقبلوا على دراسة القرآن دراسة لغوية وبيانية، ومن رواد من خاض هذا الميدان الفسيح الإمام الجليل سيبويه رحمه الله الذي وضع في نحو اللغة العربية أثرا سماه بالكتاب، والذي قيل فيه: لم يؤلف مثله في هذا الفن.

أهمية الموضوع: أهمية هذا الموضوع أمر واضح جلي قد لا يخفى على أحد؛ إذ يتعلق بموضوع هام وهو القرآن الكريم الذي ظل العالم بأسره قام بدراسته منذ أول وهلة الصدمة، ومن رواد من قام بدراسته الإمام سيبويه العالم النحرير.

أسباب اختيار الموضوع: ولقد استشهد الإمام في كتابه الموسوعي للظواهر اللغوية بآيات قرآنية بكثرة، وقام ضمنها بتحليل تلك الشواهد القرآنية تحليلا بلاغيا خلال المسائل اللغوية، غير أن محاولات الإمام في مجال التحليل البلاغي للآيات القرآنية كانت متخفية أحاطت بها هالة سميكة من ضباب الدراسات اللغوية، لذا قلما انتبه لها دارسو العلوم اللغوية، ولم يتجاوز سعيهم بهذه المناسبة حدود إشارات مجردة إلى مصطلحات بلاغية ذكرها الإمام في المناسبات اللغوية المختلفة دون تحديد ما ترتب عليها من الدلالات. فبقيت تلك المحاولات الناجعة المباركة بكرة لم تمسها أيادي الدارسين السابقين الأوائل، وظلت في حاجة ماسة إلى من يبذل سعيه وجهده ليدرسها دراسة مستقلة تحدد ملامحها ونماذجها، فأردت أن أبادر في هذا الميدان و أخوضه، فشمرت عن ساعد الجد للبحث عن مظاهر الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم في جهود سيبويه النحوية التي أشار إليها بعض السلف، كي أرفع عنها الستار، وأوضحها رأي العيان، لنرى مدى اعتماد سيبويه على الذوق البلاغي في تبني آرائه النحوية واللغوية.

الدراسات السابقة: كتاب سيبويه- كما لا يخفى- من أمهات كتب النحو، ومن أهمها، لذا قد لا نجد قرنا في تاريخ النحو العربي يخلو من إقبال الدراسين من علماء المسلمين والعرب على هذا الأثر الفذ دراسة وتحليلا، وعلى الرغم من هذا النوع من الاهتمام البالغ به لم يقم أحد – حسب معلوماتي- بدراسة مظاهرالدراسات البلاغية التي أجراها الإمام سيبويه في كتابه أثناء تحليله للشواهد القرآنية.

منهج الباحث: المقال هذا دراسة موجزة من الباحث تقوم بتتبع نماذج من مظاهر الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم وردت في كتاب سيبويه، كما تقوم بتحليل تلك المظاهر تحليلا يوضح حدودها وخطوطها الأساسية معتمدا في ذلك على كتاب سيبويه وشروحه وآثارعلمية أخرى من أمهات الكتب التي تهتم بالشواهد النحوية واللغوية .

محتويات المقال: المقال هذا محاولة متواضعة في سبيل البحث عن جهود سيبوية إمام النحاة في الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم، يحتوي المقال بالإضافة إلى المقدمة الموجزة التي توضح أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، على فكرة موجزة عن العلاقة بين الدرس النحوي والبلاغي، كما يحتوي في الوقت نفسه على سطور تعرفنا بالإمام سيبويه وكتابه الموسوعي، وبحقيقة الملاحظات البلاغية في كتاب هذا الإمام العبقري ، ثم يضع المقال بين أيدي الدارس شواهد تدل على جهود راسخة للإمام العلامة في الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم، والتي تتمثل في تحليله للآيات القرآنية في ضوء المعاني البلاغية والصورة البيانية معا.

يتم كل ذلك من خلال مبحثين اثنين أولهما يناقش المبنى العام للدراسات البلاغية حول القرآن الكريم في كتاب سيبوبه في مطالب ثلاثة، وثانيهما يناقش صور مظاهرالدراسات البلاغية حول القرآن الكريم في جهود سيبويه اللغوية والنحوية في مطلبين اثنين أولهما مظاهراعتماد سيبويه على المعاني البلاغية في تحليل النص القرآني،

وثانيهما مظاهر تحليل سيبويه للصور البيانية في القرآن الكريم كما يحتوي المقال في الأخير على الخاتمة وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته، و ينتهي المقال أخيرا بثب المصادر والمراجع التي استقى منها الباحث مادته.

المبحث الأول:مبنى الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم في كتاب سيبويه

قبل أن أخوض صلب الموضوع أرى من المناسب أن أتحدث عن مبنى الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم في كتاب سيبويه في ظل مطالب ثلاث آتية:

المطلب الأول: مدى علاقة الدراسة النحوية بالقضايا البلاغية

ولقد جاء أسماء اللغويين العرب من أمثال سيبويه، والفراء و أبو عبيدة وابن قتية في صدر قائمة من بذلوا مساعيهم في الدفاع عن القرآن، ودفعوا بجهودهم العلمية مطاعن الملاحدة في هذا الكتاب السماوي، وذلك لأن المحافظة على أسلوب القرآن الكريم ولغته كانت في صدر الأهداف التي أخذ الدارسون اللغويون الأوائل يتوخونها من عملهم اللغوي، ولما كانت بين الدراسات البلاغية والدراسات اللغوية علاقة وثيقة وتيدة لاتسمح أن ينفصل بعضها عن بعض أصلا، أخذ عمل اللغويين والنحاة يتلوَّن بلون بلاغي، فظهرت مؤلفات الدراسات اللغوية نحوا وصرفا، ومعجما دون الاستثناء منذ المرحلة الأولى مصبغة بصبغة الملاحظات البلاغية أيضا.

فالأسرار البلاغية التي تكمن وراء التعبير هي في الأصل نتائج محتومة لاستخدام الوسائل التعبيرية التي تقع في صدرها الوسائل اللغوية، فلايمكن في الغالب أن يتعرض أحد منا إلى شرح الوسائل اللغوية في التعبير وتوضيحها دون أن تترتب على مجهوده فوائد بلاغية، وتوضيح أسرارها الكامنة، فلا يمكن أن تنال قضية بلاغية – مهما كانت من أخص خصائص علم البلاغة– عن طرق آخرى غير لغوية، بناء على ذلك التلاحم الشديد بين الدراسة اللغوية والبلاغية نجد ملاحظات بلاغية تملأ صفحات بحوث لغوية قام بها العلماء منذ نهاية النصف الأول من القرن الثاني الهجري. ذكر الدكتور شوقي ضيف أن طائفة من اللغويين الأوائل (كانوا يحترفون تعليم اللغة ومقاييسها في الاشتقاق والإعراب، مضيفين إلى ذلك رواية واسعة للشعر القديم. ولم يكونوا يكتفون بالرواية وحدها، فقد عُنُوا أشد العناية بشرح ما يروُون ودرْسِه، وتبيين خصائصه التعبيرية والأسلوبية، وحقا كانت عنايتهم القوية تنصب على استنباط أصول اللغة العربية من الوجهتين الاشتقاقية والنحوية، غير أنهم مع ذلك كانوا يُعْنون بتلقين الناشئة شيئا من الخصائص البيانية، يأتي ذلك عرضا في ثنايا شرحهم وعرضهم للقواعد اللغوية والنحوية)[i].

فأول من بدأ يسجل الملاحظات البلاغية حول أسلوب القرآن هم اللغويون، وعلى رأسهم الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى عام (170هـ)، وتلميذه الإمام سيبويه المتوفى عام(180هـ)، والإمام الفراء المتوفى عام (207هـ)، و أبوعبيدة معمر بن المثنى المتوفى عام (209هـ)، وابن قتيبة المتوفى عام (276هـ)، والمبرد المتوفى (285)، إلا أن الملاحظات البلاغية عند الخليل بن أحمد وسيبويه رحمه الله والمبرد جاءت في آثارهم مبثوثة ضمن بحوث نحوية و لغوية أخرى، كما وردت عند الفراء في (معاني القرآن) وعند أبي عبيدة معمر بن المثنى في مجازه، وعند ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن مطلوبة في الأساس عند تفسير الآيات المطلوب تحليلها.

المطلب الثاني: الإمام سيبويه وكتابه في سطور

سيبويه هو أبو بِشْر عمرو بن عثمانَ بن قنبر إمام النحاة ، وأول من بسط علم النحو. ولد هذا الإمام في إحدى قرى شيراز من بلاد فارس عام (148هـ)، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد، وتعلم منه، ففاقه كما قيل، وصنف في النحو كتابه المسمى كتاب سيبويه، وهو كتاب في فن النحو لم يصنع أحد قبله ولا بعده مثله. ولقد رحل الإمام إلى بغداد في عهد هارون الرشيد، وناظر هنالك الإمام الكسائي في قضية نحوية معروفة باسم القضية الزنبورية، فظلم في التحكيم ، وعاد إلى الأهواز، وتوفي بها سنة (180 هـ)، وقيل: وفاته وقبره بشيراز[ii].

ألف سيبويه كتابه في قضايا لغوية من بناء المفردات والتراكيب، والأصوات، وتعرض من ضمنها إلى بعض قضايا بلاغية أيضا؛ ذكر الدكتور شوقي ضيف (أن من يرجع إلى كتاب سيبويه الذي يقال إنه جلب مادته من إملاءات الخليل يجده يعرض لبعض الخصائص الأسلوبية التي عُني بها فيما بعد علم المعاني، من مثل التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف، وأيضا فإنه يعرض المعاني المختلفة لبعض الأدوات، ومن حين إلى حين نلتقي بإشارات إلى بعض مسائل بيانية)[iii].

المطلب الثالث: حقيقة الملاحظات البلاغية في كتاب سيبويه

نجد أن تلك القضايا البلاغية التي أشار الدكتور شوقي ضيف فيما سبق إلى وجودها في كتاب سيبويه جاءت مبثوثة متفرقة، ولم تكن هي مطلوبة عنده في الأساس، لكن لما كانت بين المجالين النحو والبلاغة من العلاقة الوتيدة —كما أشرنا سابقا– أصبح إبعاد مثل هذه الملاحظات عن إنتاج النحاة و آثارهم العلمية أمرا شبه مستحيل إن لم يكن مستحيلا، فجاءت معظم هذه الملاحظات القيمة في كتاب سيبويه أثناء تحليله للآيات القرآنية عند الاستشهاد بها للقضية اللغوية، أو القاعدة النحوية، وذلك لأن لغة القرآن —كما لا يخفى على أحد – تمثل اللغة الفصيحة العالية الراقية التي بلغ بهذه الهدية السماوية حد الإعجاز، بيد أن ثمة مواضع منها جاء ظاهرها مشكلاً على قواعد العربية، وضوابطها التي استقاها أهل الفن من أنواع السماع العربي الفصيح، ومن هنا حرص العلماء وعلى رأسهم أهل اللغة على إجلاء ما يلتبس من الآيات، وبيان وجهته ونسبته إلى الصحة. ولعل الخليل بن أحمد وسيبويه من أوائل مَنْ أرسَوا قواعد حلِّ مشكل القرآن، وقد قدَّم سيبويه في كتابه نماذج متعددة لتحليل الآيات القرآنية تحليلا بلاغيا أفاد منه العلماء في تحريرمصنفاتهم التي توالَتْ من بعده، وقاسوا النظير على النظير. والجدير بالذكر أن ما قدمه سيبويه من الدراسات البلاغية حول بعض آي القرآن يمثل في معظمه وجهة نظر الخليل كذلك، لأنه أستاذه، ويسأله في كتابه من وقت لآخر من وجهة نظره في مثل هذه المسائل.

المبحث الثاني

صور مظاهر الدرسات البلاغية حول القرآن في جهود سيبويه اللغوية والنحوية

مظاهر الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم في كتاب سيبويه متعددة تلوح وتلمع بصور مختلفة أثناء تحليلاته اللغوية والنحوية، وإليك فيما يلي بعض هذه الصور البارزة التي تدل بوضوح على جهود سيبويه في الدراسات البلاغية حول القرآن في تلك الفترة المبكرة من تاريخ العلم:

المطلب الأول: اعتماد سيبويه على المعاني البلاغية في التحليل النص القرآني

اعتمد الإمام سيبويه في تحليل كثير من النصوص القرآنية على المعاني البلاغية،وفيما يلي شواهد تدل على مدى اعتماد الإمام في كتابه على المعاني البلاغية في تحليل النصوص القرآنية:

أولا . الاعتماد على المقام

المقام من أهم موضوعات علم المعاني، وهو يستوعب المحيط الكامل للحديث بما فيه متكلم ومخاطب والظروف المحيطة بهما وعناصر الكلام، ولمراعاته في الكلام دور بارز، بل ودور أساسي في تقييم مستواه البلاغي، لذا يلعب المقام دورا أساسيا في تحليل النصوص.

شواهد اعتماد سيبويه على المقام

لقد اعتمد سيبويه في تفسير كثير من النصوص القرآنية على هذه الظاهرة البلاغية، وإليكم فيما يلي بعض الشواهد الدالة على ذلك من كتابه:

مقام قطع النعت إلى النصب للمدح أو الذم: من ظواهر اللغة العربية قطع النعت إلى النصب على التعظيم والمدح أو الذم والشتم، تحدث الإمام سيبويه في كتابه عن هذه الظاهرة بالتفصيل ضمن بابين مستقلين وضعهما في كتابه متواليين بلا فصل، عنون أولهما بـ(باب ما ينتصب على التعظيم والمدح) كما عنون ثانيهما بـ(باب ما

يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه)، وقام فيهما بتحليل بعض آيات قرآنية في ضوء تلك الظاهرة اللغوية. فذكر في باب النصب على التعظيم نَصْب (والمقمين الصلاة) من قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (iv)، ومثله أشار إلى نصب (والصابرين) من قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ البرَّ مَن آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالملائِكةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المالَ عَلَى حُبه ذَوِي القُربى وَالْيَتَامى وَالْمَسَاكِينَ وابنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتى الزكاةَ والموفونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عاَهَدُوا وَالصَّابِرينَ فِي البأساءِ﴾(v) وقدَّره على التعظيم والمدح،(vi). ثم ذكر شواهد أخرى انقطعت فيها النعوت من الرفع أو الجر إلى النصب، وبين أنها يجوز فيها الرفع على الابتداء والنصب على التعظيم، وعلق في الأخير على وجه جواز نصبها فقال:(زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناسَ، ولا مَن تخاطب بأمرٍ جهلوه(vii)، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمتَ، فجعله ثناء وتعظيماً(viii)، ونصبه على الفعل، كأنه قال: أذكرُ أهلَ ذاك، وأذكر المقيمين، ولكنه فعلٌ لا يستعمل إظهارُه. وهذا شبيهٌ بقوله: إنا – بنى فلانٍ – نفعل كذا، لأنه لا يريد أن يخبر مَن لا يدرى أنه من بنى فلان، ولكنه ذكر ذلك افتخارا وابتهاء)(ix). انظر كيف حدد الخليل بتحليله مقام النصب على المدح أو الذم، وصرح بأنه يراد حين كان الموصوف مشهورا لايخفى شخصيته على السامع، فيقصد المتكلم إلى وصفه مباهاة وفخرا وثناء على الممدوح والمنعوت. و مثله ذكر سيبويه رحمه الله في باب النصب على الشتم والذم نصب (حمالة الحطب) في قراءة عاصم من قوله تعالى ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (x) ، وقال في تعليقه عليه أنه (لم يجعل الحمالة خبرا للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكرُ حمّالةَ الحطب، شتما لها، وإن كان فعلاً لا يُستعمل إظهاره)(xi). يشير إلى أن امرأة أبي لهب في الحقيقة مشهورة بعنادها للرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يحتاج المتكلم إلى وصفها ب(حمالة الحطب) تمييزا لها من غيرها، فقطعه إلى النصب لإفادة الشتم والتقبيح.

شروط قطع النعت إلى النصب على التعظيم أو التحقير: وبالإضاف إلى ذلك ذكر سيبويه للنصب على التعظيم والمدح، ومثله للنصب على الذم والتحقير شرطين اثنين ينبغي توافر أحدهما في المنعوت الذي أريد تعظيمه، أو تحقيره، وثانيهما في الوصف الذي يُعظَّم به أو يُحقُّر، فقال: (واعلم أنه ليس كل موضع يجوز فيه التعظيم، ولا كل صفة يحسن أن يعظّم بها، لو قلت: مررت بعبد الله أخيك صاحب الثياب، أو البّزاز، لم يكن هذا مما يعظم به الرجل عند الناس، ولا يفخَّم به، وأما الموضع الذي لا يجوز فيه التعظيم فأن تذكر رجلا ليس بنبيه عند الناس ولا معروف بالتعظيم، ثم تعظمُّه كما تعظم النبيه، وذلك قولك: مررت بعبد الله الصالح)(xii). أضاف سيبويه بهذه المناسبة وبين أن الموصوف إن لم يكن نبيها مشهورا بين الناس لكن المتحدث وصفه أولا بوصف جعله يعرف به، ثم مدحه وعظمه عن طريق قطع نعته إلى النصب جاز فقال: (فإن قلت: مررت بقومك الكرامِ الصالحين ثم قلت: المطعمينَ في المحْل(xiii)، جاز؛ لأنه إذا وصفهم صاروا بمنزلة من قد عرف منهم ذلك[الإطعامَ في الجدب]، وجاز له أن يجعلهم كأنهم قد علموا. فاستحسِنْ مِن ذا ما استحسنت العرب، وأجزه كما أجازته)(xiv). فينبغي أن يكون المعنى الذي يُعظّم به الممدوح مما فيه مدح وثناء ورفعة. ومثله ينبغي أن يكون المعظَّم نفسه معروفا لدى المخاطب، وشهر عنده بما عظّم به، أو يتقدم في كلام المتكلم ما يتقرر به عند المخاطب حال مدح وثناء وتشريف في المذكور يصح أن يورد بعدها التعظيم، وهذا معنى ما ذكره سيبويه: (مررت بقومِك الكرامِ، ثم قلت:المطعمين في المحْل)، وتقول: مررت بعبد الله الكريمِ الفاضلَ، على التعظيم لما قدمت ذكر (الكريم) صار كأنه قد عرف وشهر. كل هذا الكلام جاء في كتاب سيبويه في سياق تحليله النصب في قوله تعالى (المقيمين الصلاة) من آية سورة النساء، وفي قوله (الصابرين في البأساء والضراء) من آية سورة البقرة، حيث قطعت فيهما النعت إلى النصب بعد أن وصف المنعوت بما يعرف به، ويُشتهر. ثم التفت سيبويه لأمر آخر وهو أن ما يمدح به الله سبحانه وتعالى لايجوز أن يمدح به غيره من المخلوقين، وصرح بأنه(ليس كل شيء من الكلام يكون تعظيما لله – عز وجل– يكون لغيره من المخلوقين لو قلت: الحمد لزيد، تريد العظمة لم يجز)(xv).

ومثله أجاز سيبويه النصب على المدح والتعظيم في نعت كل من قد لايعرفه المخاطب، ولم يشتهر به الممدوح عنده أيضا؛ وإنما أجاز ذلك لإفادة نكتة بلاغية، وهي إنزال المخاطب منزلة العالم العارف بالمنعوت ادعاء بأن المنعوت اشتهر بهذا الوصف اشتهارا يستحق بسببه أن يفتخر به المتحدث ويتباهى، وليس للمخاطب أن يدعي عدم المعرفة، فأضاف قائلا: (وقد يجوز أن تقول: مررت بقومك الكرامَ، إذا جعلت المخاطب كأنه قد عرفهم، كما قال[القائل من العرب]: مررت برجل زيدٌ، فتنزله [المخاطب]منزلة من قال له[أي المتكلم]: من هو، وإن لم يتكلم به. فكذلك هذا تنزله هذه المنزلة وإن كان لم يعرفهم)(xvi)

الاعتماد على المقام في تفسير ألفاظ القرآن: قام الإمام سيبويه بتحليل بعض ألفاظ القرآن في ضوء المقام، واعتماد على المقام في تفسير ألفاظ اللغة من صميم دراسة بلاغية، ومما عني الإمام بتوضيح معناه من ألفاظ القرآن في ضوء المقام لفظ(سلاما) في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (xvii) ، فذكر أنه لايدل على قراءة السلام على المشركين؛(لأن الآية فيما زعم مكية، ولم يؤمر المسلمون يومئذ أن يُسَلِّموا على المشركين، ولكنه على قولك براءةً منكم وتَسَلُّماً، لا خير بيننا وبينكم ولا شر)(xviii).

يتضح من مقدمة سيبويه أن أبا الخطاب(xix) كان يعتمد هذا التفسير، فالسلام في الآية بمعنى البراءة والتَّسَلُّم وعدم الالتباس بشيء من الأمر. واستدل على ذلك بأن الآية مكية، ولم يُؤْمَرْ المسلمون بالتسليم على المشركين وقتئذ.

ومما عالجه سيبويه في ضوء المقام من مظاهر لغوية قرآنية عدم المطابقة بين المبتدأ والخبر في قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (xx) ، فقال وزعم الخليل – رحمه الله — أنه (كقولك: معضِّلٌ للقَطاة. وكقولك: مُرضِعٌ، للتي بها الرِّضاعُ. وأما المنفطرة فيجيء على العمل، كقولك منشقَّةٌ، وكقولك مرضعة للتي ترضع)(xxi).

الاعتماد على علم المخاطب في تقدير المحذوف: يرقى التنزيل الحكيم إلى أعلى درجات البلاغة، ومن بلاغة الكلام الحذف والاختصار عند اقتضاء المقام، ومن عناصر المقام الكلامي كيفية المخاطب أو السامع، فإذا علم المتحدث أن المخاطب له العلم ببعض كلامه يحذفه، فلا يذكره بل يقدره، وقد سمى البلاغيون هذا الصنيع اللغوي فيما بعد باسم الإيجاز والاختصار. وباب الحذف والتقدير باب ثَرٌّ من أبواب البلاغة القرآنية، وقد تحدث البلاغيون عن مواضع الحذف في أسلوب القرآن، وحرصوا على بيان ما حُذِفَ من النظم، وَفْق منطوق العربية التي نزل القرآن بلسانها. وقد سبقهم سيبويه من النحويين في هذا البيان، وشاركهم فيه، وله في هذا وقفات متأنية، وليس هذا بمستغرب؛ لأن هذا هو ميدان علماء العربية في هذا الضرب من التفسير، فسيبويه لم يشارك البلاغيين في تعيين المحذوف وتقديره، فحسب بل شاركهم في بيان علة الحذف، وبيان وجهه أيضا في مواضع كثيرة، فعلل الحذف بالتخفيف لعلم المخاطب به.

لقد عالج سيبويه في كتابه أساليب قرآنية كثيرة في ضوء ظاهرة الإيجاز والسعة اعتمادا على علم المخاطب بالمحذوف، يبدوا أن سيبويه يُعْنى بتقدير المحذوف، ويهتم به، لذا أخرج كثيرا من شواهده القرآنية في ضوء هذه الظاهرة.

تقدير المبتدأ: ومما يقدر في اللغة العربية المبتدأ، وقد حلل سيبويه في ضوء هذه الظاهرة اللغوية كثيرا من آيات قرآنية منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (xxii) فخرجه بتقدير المستثنى منه – وهو المبتدأ– قبل أداة الاستثنا تقديره: (أحد)، وعلل حذفه بالتخفيف والاستغناء عن ذكره بعلم المخاطب بما يعني، وأمن اللبس(xxiii). ومثله قدَّر المبتدأ المحذوف في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(xxiv) فقال: (كأنه يقول: الأمر صبر جميل) (4). و مثله أضمر المبتدأ «ذلك» في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (xxv)، فذكر(كأنه قال: "ذلك بلاغ")(xxvi). وقدَّر المحذوف من قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (xxvii)، قال: (فإمَّا أن يكون أضمر الاسم، وجَعَلَ هذا خبره، كأنه قال: أَمْري طاعة وقولٌ معروف، أو يكون أضمر الخبر فقال: طاعة وقول معروف أمثل)(xxviii). كما قدَّر المبتدأ المحذوف من قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (xxix) فقال: (كأنه قال: الأمر ذلك، وأنَّ الله)(xxx). مثله خرج سيبويه – رحمه الله– قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (xxxi)، بتقدير المبتدأ قبل (أن يكفروا) فقال: (كأنه قيل له ما هو ؟ فقال: هو أن يكفروا)(xxxii).

تقدير الخبر: ومثل المبتدأ قد يقدر الخبر في اللغة العربية للتخفيف اعتمادا على علم المخاطب، وفهمه للمقدر، ولقد فسر سيبويه – رحمه الله – بعض وجوه القراءات في ضوء هذه الظاهرة اللغوية، منها قراءة الرفع في لفظ (الزانية والزاني) من قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (xxxiii)، وهي قراءة العامة بأنه على تقدير (فيما يتلى عليكم: حكم الزانية)(xxxiv)، فقوله: الزانية مبتدأ، خبره متعلّق الجار والمجرور المتقدم، أي: فيما يُتْلى عليكم حُكمُ الزانية والزاني، ثم بيَّن ذلك بقوله: فاجلدوا كل واحد منها. صرح بأنه (لما قال جلَّ

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد الرابعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2024م
www.ajsp.net

ثناؤه ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [xxxv] قال: في الفرائض الزانية والزاني، أو الزانية والزاني في الفرائض، ثم قال: فاجلدوا، فجاء بالفعل بعد أن مضى فيهما الرفع، كما قال [وهو لقائل مجهول في البحر الطويل]:

وقائلةٍ خَوْلانُ فانكِحْ فَتاتَهُمْ وأُكرومةُ الحَيَّيْنِ خِلْوٌ كما هيا[xxxvi]

فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر[xxxvii] وكذلك: " والسارق والسارقة " "كأنه قال: و " فيما فرض عليكم " السارقُ والسارقةُ، أو السَّارق والسارقة فيما فرض عليكم ". فإنَّما دخلت هذه الأسماءُ بعد قصَص وأحاديثَ. ويحمل على نحوٍ من هذا، ومثلِ ذلك: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ [xxxviii]. ومما خرجه في ضوء تلك الظاهرة اللغوية من الآيات القرآنية قولَه تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [xxxix] قال: (فإنما وُضِعَ المَثَلُ للحديث الذي بعده، فذَكَرَ أخباراً وأحاديث فكأنه قال: ومن القصص مثلُ الجنة، أو ممَّا يُقَصُّ عليكم مثلُ الجنة، فهو محمول على هذا الإضمار ونحوه)[xl]. وبناء على هذا فإنَّ قوله مثل الجنة مبتدأ، خبره مقدَّر قبلَه، أي: ممَّا يُقَصُّ عليكم، وجملة (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) تفسيرية للمثل.

ومثله خرج سيبويه – رحمه الله– قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾[xli]، بتخفيف (أنَّ) ورفع (غضب الله)[xlii] على تقدير اسم (أن) فقال: (فكأنه قال: أنَّه غَضَبُ الله عليها، لا تخَفِّفها في الكلام أبداً وبعدها الأسماء إلاَّ وأنت تريدالثقيلة مضمراً فيها الاسم)[xliii].

تقدير الفعل: ذكر الإمام سيبويه أن الذي يحذف في كلام العرب استغناء عنه بعلم المخاطب به، الفعل، ووضع في كتابه لهذه الظاهرة اللغوية بابا مستقلا سماه (هذا بابٌ يحذف منه الفعل كثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل) ثم حلل ضمن ذلك نصب لفظ (خيرا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [xliv] فقال إنه نصب (لأنَّك حين قلت: " انْتَه " فأنت تريد أن تخْرِجَه من أَمْرٍ، وتُدخِلَه فى آخرَ. وقال الخليل: كأَنَّك تحملُه على ذلك المعنى، كأَنّك قلت: انْتَهِ وادخُلْ فيما هو خيرٌ لك، فنصبتَه لأنَّك قد عرفتَ أنّك إذا قلت له: انْتَهِ، أنَّك تحمله على أمر آخَرَ، فلذلك انتَصب، وحذَفوا الفعل لكثرة استعمالِهم إيَّاه فى الكلام، ولعلم المخاطَب أنّه محمولٌ على أمرٍ حين قال له: انتَهِ، فصار بدلاً من قوله: ائت خيراً " لك "، وادْخُلْ فيما هو خير لك)[xlv]. كما قدَّر الفعل المحذوف في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [xlvi] فقال تقديره: (فإما تَمُنُّونَ منّاً وإما تُفادون فداء)[xlvii]. ومثله قدَّر الفعل المحذوف في قراءة ﴿وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قَتْلُ أولادِهم شركاؤُهم﴾[xlviii] فقال: (أي: زيَّنه شركاؤهم). وقدَّرالفعل المحذوف في قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[xlix] فقال: (أي: بل نَتَّبع ملّةَ إبراهيم حنيفا، كأَنه قيل لهم: اتَّبِعوا، حين قِيل لهم: "كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى)[l].

ومثله قدَّرالفعل المحذوف من قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[li] فقال:(كأنه قال والله أعلم: قالوا ما نعبدهم. ويزعمون أنَّها في قراءة ابن مسعود كذا. ومثل ذلك كثيرٌ في القرآن)[lii].

تقدير المفعول به الأول: ومثله قد يقدر في اللغة العربية المفعول في الكلام، وقد خرج سيبويه في ضوء هذا الظاهرة اللغوية قوله تعالى:﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [liii]، فذكر أنه بتقدير المفعول به الأول، فقال («كأنه قال: ولا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيراً لهم، ولم يذكر البخل؛ اجتزاءً[liv]بعلم المخاطب بأنه البخل؛ لذِكْره "يبخلون")[lv].

تقدير العائد : وقدَّر المحذوف «فيه» في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [lvi] والأصل: لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ فيه.

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
الإصدار السابع – العدد ارأبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2024م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

تقدير جواب الشرط: ذكر سيبويه في كتابه آيات أخرى ذكرت فيها أداة الشرط ولم يذكر جوابها، فاستشكل ظاهرها، وقام بتوجيهها اعتمادا بعلم المخاطب، منها قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [lvii] و مثله قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[lviii]، ومثله قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[lix] ذكر أنه سأل أستاده الخليل رحمه الله عن جواب الشرط في تلك الآيات، فأجاب بجواب ينسحب على الآيات كلها، فقال: (إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم؛ لعِلْمِ المخبَر لأي شيءٍ وضع هذا الكلام؟)[lx].

تقدير الأدوات: ذكر سيبويه في كتابه بعض آيات قرآنية، واستشكل ظاهرها، فحللها في ضوء تقدير العرب بعض الأدوات، من ذلك ما قاله في توجيه (أنَّ) بفتح الهمزة من قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [lxi]، أنه بتقدير لام التعليل فقال: معناه: (ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)[lxii]. ومثله ذكر في قوله تعالى: ﴿وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[lxiii]، بقراءة من قرأها بفتح الهمزة(أنَّ) مثقلة، بأن معناها(ولأن هذه أمتكم فاتقون)[lxiv]و أضاف فقال: (وأمّا المفسّرون فقالوا: على " أُوحي")[lxv]. ومثله قال في قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [lxvi]: (إنما أراد بأنِّي مغلوبٌ)[lxvii]. ومثله قال في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [lxviii] إنما أراد (بأنيّ لكم نذيرٌ مبين، ولكنه حذف الباء)[lxix]. وخرج سيبويه نصب (فاطر السماوات والأرض) من قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [lxx] على أنه بتقدير ياء[lxxi].

سياق الآيات وسباقها: سياق الآيات يشكل مقاما كلاميا كبيرا، وهو يساعد في تفسير كثير من الظواهر اللغوية التي قد يشكل فهمها على من نبا به ذوقه اللغوي، والقرآن بما أنه نص لغوي راق كثيرا ما يعتمد في التعبير على السياق، فربما يصعب على بعض الناس فهمه، فقام سيبويه بتحليل كثير منها في كتابه، ومما استشكله العلماء في الأسلوب القرآني نصب لفظ (كتاب) في قوله تعالى:(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[lxxii] بعد تعديد المحرمات، وقد تحدَّثوا عن سرِّ مجيء التعبير القرآني بهذا المصدر المنصوب، ذهب سيبويه إلى أنَّه مصدر مؤكِّد لمضمون الجملة المتقدمة وهي قوله: «حُرِّمَتْ» صرح بأنه(لما قال: (حرمت عليكم أمهاتكم) حتى انقضى الكلام، عَلِمَ المخاطبون أنَّ هذا مكتوبٌ عليهم مُثَبَّتٌ عليهم، وقال: (كتاب الله) توكيداً. كما قال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾[lxxiii]، وقوله:﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾[lxxiv]، لأن الكلام الذي قبله وَعْدٌ وصُنْع، فكأنَّه قال جلَّ وعزَّ: وَعْداً وصُنْعاً وكِتاباً».وكذلك: دعوة الحق؛ لأنه قد علم أن قولك: الله أكبر، دعاء الحق، ولكنه توكيد، كأنه قال: دعاء حقا... وقد زعم بعضهم أن كتاب الله " نصب " على قوله: عليكم كتاب الله. وقال: قوم صبغة الله منصوبة على الأمر. وقال بعضهم: لا بل توكيدا. والصبغة: الدين. وقد يجوز الرفع فيما ذكرنا أجمع على أن يضمر شيئاً هو المظهر، كأنك قلت: ذاك وعد الله، وصبغة الله، أو هو دعوة الحق. على هذا ونحوه رفعُه. ومن ذلك قوله جل وعز:﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ ﴾[lxxv] ، كأنه قال: ذاك بلاغ. واعلم أن، هذا الباب أتاه النصب كمنصوب بما قبله من المصادر في أنه ليس بصفة ولا من اسم قبله، وإنما ذكرته لتؤكِّد به، ولم تحمله على مضمر يكون ما بعده رفعاً، وهو مفعول به)[lxxvi]، فهذه كلها –كما فهم من نص سيبويه– مصادر منصوبة بما قبلها، فهي في الحقيقة مفاعيل مطلقة أحدثها الفاعل، و جاءت منصوبة لإفادة تأكيد عاملها.

الحمل على معنى ما سبق من الكلام: الحمل على المعنى بحث بلاغي بحت لايشك فيه أحد، والعرب قد يراعونه في كلامهم. ولقد خرج الإمام سيبويه – رحمه الله– كثيرا من الأساليب القرآنية عن طريق هذه الميزة اللغوية، منها – على سبيل المثال– رفع (حورٌ عينٌ) في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [lxxvii] فذهب الإمام إلى أنه مقدر على المعنى، وأنه هنا لا يجري على لفظ سابق، وإنما هو مقدَّر على معنى ما تقدم بتأويل، وصرح بأنه: (لما كان المعنى في الحديث على قوله: (لهم فيها)، حَمَلَه على شيء لا ينقض الأول في المعنى)[lxxviii]. أي أن ما طيف به عليهم من أكواب وأباريق وغيرهما معناه أنه لهم في الأصل، فحمل عليه لفظ (حورٌ عين) بالرفع باعتبار هذا المعنى.

ومثله ذهب في نصب فعل (أو يرسل) في وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[lxxix]، إلى أنه معطوف على وحيا باعتبار المعنى، إذ معناه (أن يوحي إليه)، ذكر أنه سأل منه الخليل(فزعم أن النصب محمول على (أن) سِوى هذه التي قبلها[lxxx]. ولو كانت هذه الكلمة على (أن) هذه، لم يكن للكلام وجهٌ، ولكنه لما قال: " إلا وحيا أو من وراء حجاب " كان في معنى إلا أن يوحي، وكان (أو يرسل) فعلاً لا يجري على إلا، فأجري على (أن) هذه، كأنه قال: إلا أن يوحي أو يرسل؛ لأنه لو قال: إلا وحياً وإلا أن يرسل كان حسناً، وكان أن يرسل بمنزلة الإرسال، فحملوه على أن، إذ لم يجز أن يقولوا: أو إلا يرسل، فكأنه قال: إلا وحياً أو أن يرسل)[lxxxi].

موقف المتكلم: للمتكلم دور هام في تكوين المقام أو السياق، فهو حجر الأساس في هذا الصرح حيث يلعب دورا بارزا في فهم معنى كلامه، اعتمد سيبويه عليه في تفسير بعض الظواهر اللغوية الواردة في الأسلوب القرآني، على سبيل المثال تحدَّث سيبويه عن «أَمْ» المنقطعة، وفرَّق بينها وبين المتصلة، وذكر أنها تأتي بعد كلام خبري وبعد كلام إنشائي طريقه الاستفهام، ومثَّل لمجيئها بعد الخبر بقوله تعالى:﴿الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [lxxxii] ثم علل مجيئها في كلام الله وما أفادته من المعنى، ذكر أن الله عالم بما قاله هؤلاء كفار قريش والعرب، فلا يحتاج الاستفهام، وإنما (جاء هذا الكلام على كلام العرب، قد علم تبارك وتعالى ذلك مِنْ قولهم، ولكن هذا على كلام العرب ليُعَرِّفوا ضلالتهم)[lxxxiii]. يعني أن التعبير بـ(أَمْ) –وهي أداة الاستفهام أصلا– عن الإضراب بدل بَلْ يفيد بأن المراد ليس الإضراب وحده، بل المراد هو الإضراب عن الأول على جهة الاستفهام التوبيخي الإنكاري، كأنه قال: بل أيقولون افتراه ولايستحون أن يقولو هذا القول وليس عندهم أي دليل على ادعائهم.

ومثله ورد أَمْ المنقطعة في قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾[lxxxiv] بعد كلام خبري، علق عليه سيبويه تعليقا بما فيه بحث بلاغي واضح صريح، فقال:(فقد عَلم النبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون أنَّ الله عزّ وجل لم يتخذ ولداً، ولكنه جاء على حرف الاستفهام، لِيُبَصَّروا ضلالتهم. ألا ترى أن الرجل يقول للرجل: آلسعادةُ أحبُّ إليك أم الشقاء؟ وقد عَلم أنَّ السعادةَ أحبُّ إليه من الشقاء، وأن المسؤول سيقول: السعادة، ولكنه أراد أن يُبَصِّر صاحبه وأن يُعْلمه)[lxxxv]. أشار سيبويه رحمه الله إلى سر التعبير بأم في الآية عن الإضراب بدل بل، فصرح بأنه يفيد الإشارة إلى توبيخ من قال هذا الكلام وعتابه بالإضافة إلى الإضراب لأنه بمعنى بل والهمزة الاستفهامية، فيفيد الإضراب على جهة الاستفهام التوبيخي الإنكاري.

ومثل سيبويه لمجيئ أم المنقطعة بعد الاستفهام بقوله تعالى وهو يحكي قول فرعون: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[lxxxvi] فقال: (كأنَّ فرعون قال: «أفلا تُبصرون أم أنتم بصراء. فقوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾ بمنزلة أم أنتم بصراء؛ لأنهم لو قالوا: أنت خير منه، كان بمنزلة قولهم: نحن بُصَراءُ عنده، وكذلك (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا) بمنزلته لو قال: أم أنتم بُصَراء)[lxxxvii]. فذهب سيبويه في تحليله للآية بأن (أم) هنا خرج عن معناه الحقيقي في هذا السياق وأفاد معنى بل والهمزة الاستفهامية التقريرية، فقرر فرعون أنه بتلك الصفة خير من موسى، وقصد حمل المخاطبين على الاعتراف بذلك، فإذا اعترفوا، به وقالوه كان كلامهم بمثابة قولهم نحن بصراء تلك الحقيقة. فذكر سيبويه في الواقع علة التعبير عن الإضراب بـ(أم) دون (بل) في هذا السياق، وبين أن استخدام (أم) هنا ليس لإفادة مجرد الإضراب نحو بل، وإنما أريد به بالإضافة إلى إفادة الإضراب الدلالة على التقرير، وحمل المخاطب على الاعتراف بذلك[lxxxviii].

حمل ظاهر لفظ القرآن على عادة العرب في الكلام: القرآن نزل بلغة العرب، فهو يشمل سننهم وأساليبهم في الكلام، ويراعي تلك السنن دوما في التعبير، فيعبر عن الأفكار والمعاني وفق نظام العرب وعادتهم في التحدث، من هنا عالج سيبويه في كتابه بعضا من الأساليب القرآنيه مما أشكل على الناس حمله على الظاهر لفساد معناه في ضوء ظاهرة متابعة سنن العرب في الكلام، على سبيل المثال لا الحصر ذكر قوله تعالى عزَّ وجلَّ: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[lxxxix] وقوله ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[xc]، وهما في الظاهر من الأساليب الخبرية لفظا والإنشائية معنى ؛ والمراد بهما الدعاء، وحمله على الدعاء منسوبا إلى الله غير لائق بشأنه – سبحانه وتعالى– إذ يفيد التضرع والعجز، وهما من صفات العيب، والله منزه منهما معا ، فعدم مناسبته بشأن الله – سبحانه وتعالى– قرينة صارفة تدل على أنه خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر، تحدث سيبويه عن المراد به في كتابه فقال: (فإنّه لا ينبغي أن تقول إنّه دعاءٌ ههنا، لأنّ الكلام بذلك قبيح، واللفظ " به " قبيحٌ، ولكنّ العبادَ إنَّما كُلِّموا بكلامهم،

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد ارأبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2024م
www.ajsp.net

وجاء القرآنُ على لغتهم وعلى ما يَعنون، فكأَنَّه –واللهُ أعلمُ– قيل لهم: وَيلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، ووَيْلٌ " يَوْمَئِذٍ " لِلمُكَذِّبِينَ، أى هؤلاءِ ممن وجب هذا القولُ لهم، لأنَّ هذا الكلامَ إنّما يقال لصاحب الشر والهلكلة، فقيل: هؤلاء ممن دخل فى الشرّ والهلكة ووجَبَ لهم هذا ... ومثله: ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[xci]، فإنما أُجرى هذا على كلام العباد وبه أُنزل القرآنُ)[xcii]. فلفظ هذه الأساليب القرآنية خبر ومعناه في كلام الناس إنشاء يراد به عند العرب الدعاء على من يخاطب به، فالقائل إذا قال: قاتلك الله، ولعنك الله، فإنما يريد أن يوقع الله ذلك بالذي دعا عليه، فإذا قاله الله – عزّ وجل– فهو على طريق أنه يوقعه، والمراد به هنا وجوب ما طلب لهم من العذاب، يعني هلاك الله لهم، وعذابه يوم القيامة واجب عليهم، لأنه هو المدعوّ الذي يستدعى منه ذلك، وإنما عبر عنه بلفظ الدعاء للمناسبة لعادة العرب في كلامهم.

ثانيا– تعليل الظواهر اللغوية في النص القرآني وبيان الغرض منها: تعليل الظواهر اللغوية والوقوف على أغراضها ليس من أبحاث النحو، بل هو من الموضوعات البلاغية أساسا، ولقد أكثر الإمام في تعليل الظواهراللغوية وبيان أغراضها و دلالاتها سيما ما ورد منها في النص القرآني، و إليك فيما يلي بعض ما قام الإمام بتعليله وبيان دلالته:

أ – **تعليل أدوات الزيادة والغرض من زيادتها** : تحدث سيبويه في كتابه عن أساليب عربية جاءت بزيادة شيء من الأدوات، واستشهد لها بآيات قرآنية متعددة فيها أدوات زائدة، فحدد دليل زيادتها والغرض منها.

أدلة زياد الأدوات عند سيبوي: استدل سيبويه على زيادة الأدوات في اللغة العربية سيما لغة القرآن بأمور، منها:

عدم إفادتها معنى فرعي في الكلام: أول ما استدل به على زيادة الأدوات بأنها جاءت في الكلام لا لإفادة معنى فرعي لا يدل عليه الكلام دونه، بين ذلك وهو يتحدث عن زيادة الباء في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[xciii]، فقال: (إنّما هى كفى اللهُ، ولكنَّك لما أَدخلتَ الباءَ عَمِلَتْ)[xciv]. قوله (هي كفى الله) في غاية الأهمية؛ إذ يدل بوضوح أن الباء على الرغم من أنه جر لفظا لم يغيرالكلام عن معناه السابق، بل بقي على كون لفظ الجلالة فاعلا. ولقد صرح سيبويه باستدلاله على زيادة الأدوات بعدم إفادتها معنى فرعيا في الكلام أثناء تحليله لجر (نقضهم) في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[xcv]، فقال: (فإنَّما جاء لأنه ليس لـ " مَا " معنىً سِوى ما كان قبل أن تجيء)[xcvi]. وقد جاء من كلامه في موضع آخر أكثر وضوحا على ذلك حيث قال: (وهي لغوٌ في أنها لم تحدث – إذ جاءت– شيئاً لم يكن قبل أن تجيء من العمل)[xcvii]. ومثله قال سيبويه رحمه الله بزيادة «لا» في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[xcviii]، فبين أنه بمعنى (لأَنْ يَعلَم أهلُ الكتاب)[xcix]. اعتمد سيبويه كما ترى في حكمه بالزيادة على تلك الأدوت بأنها في الواقع لا تزيد في معنى الكلام شيئا جديدا لم يكن يدل عليه قبلها.

بقاء سلامة نظم الكلام عند حذفها: استدل على زيادت الأدوات ثانيا ببقاء نظم الكلام على حاله عند حذفت تلك الأدوات، يدل على ذلك استدلاله على زيادة (ما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[c]، بقراة من قرأها ببناء (مثلَ) على أنه نحو (إذ) مبني بفتح لإضافته إلى (أنكم تنطقون) استدلالا بأنه يبقى مبنيا بفتحة وإن حذفت (ما) في مثل قول العرب: (هذا حق مثل ما أنك هاهنا) وقلت: مثلَ أنّك ها هنا[ci]. فمذهب سيبويه في بناء (مثل) في الآية هو إضافته إلى المبني وهو (أنكم تنطقون) استدلالا بأنه يبقى مبنيا بفتحة وإن حذفت (ما) في مثل قول العرب:(هذا حق مثل ما أنك هاهنا) وقلت: مثلَ أنّك ها هنا.

الحمل على النظائر: وبالإضاف إلى ذلك استدل على زيادة بعض الأدوات بنظائره أيضا، وقد نراه يستدل لزيادة(ما) هنا في الآية نفسها بقراءة من قرأ (مثل) مرفوعا على أنه نعت لمرفوع. ذكر أن(ما) في الآية في قراءة من قرأها برفع (مثل) زائدة أيضا، فلو لم تكن زائدة لم يجز رفع (مثل). فقال ما نصه:(فلولا أنَّ ما لغوٌ لم يرتفع مثل)[cii]. يدل قول سيبويه هذا على أنه يرد على من يرى أن (مثلَ) بالفتح في الآية بني لتركبه مع (ما) كبناء خمسة عشر؛ ومثل بناء اسم لا لنفي الجنس مع (لا) النافية. فرد سيبويه ذلك بدليلين، أولهما أن(ما) حرف، فما بني من الأسماء لتركبه مع الحرف مع قلته لا يجوز رفعه، كما لا يجوز رفع اسم لا لنفي الجنس. وثانيهما أن (ما) في قوله تعالى (مثل ما) زائدة، ولا لنفي الجنس التي يبنى اسمها بالفتح لتركبه معها كما هو معروف ليست زائدة بل هي عاملة، فبناء اسمها لتركبها معها ليس مما نحن في صدده ؛ لأن (ما) هنا زائدة غير عاملة [ciii].

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

مفاد زيادة الأدوات: علل سيبويه زيادة الأدوات في الكلام بأنها جاءت في الكلام لإفادة غرض معنوي آخر وهو تأكيد معناه العام غير زيادة المعنى الفرعي له، واستشهد على ذلك بآيات من كلام الله المجيد، وحللها تحليلا وضع به نواة الدراسة البلاغة حول القرآن الكريم لأول مرة. مما تحدث عن زيادته من الأدوات زيادة (ما) بين الباء الجارة ومجرورها في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(civ)، فقال: (فإنَّما جاء لأنه ليس لـ " مَا " معنىً سِوى ما كان قبل أن تجيء إلا التوكيد، فمن ثم جاء ذلك، إذْ لم تُرِدْ به أكثرَمن هذا، وكانا(cv) حرفين أحدهما في الآخر عامل، ولو كان(cvi) اسماً أو ظرفاً أو فعلاً لم يجز)(cvii). وأضاف في موضع آخر أكثر وضوحا بأن ما في هذه الآية (هي توكيدٌ للكلام)(cviii) .

ومثلُه حكم على أن (ما) في قوله:(مثلا ما بعوضة) من قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾(cix) زائدة. ذكر سيبويه ذلك في موضعين من كتابه، ذكره مرة وهو يتحدث عن (ما) في قولهم: (لاسيما) فقال: إن (ما) في قولهم: (ولاسيما زيدٍ) بجر (زيد) زائدة كزيادتها في قوله تعالى(مَثَلًا مَا بَعُوضَةً). وذكره أخرى أثناء حديثه عن زيادة (ما) في قول بعضهم: (ليتما زيدا منطلق) بنصب (زيد)، فقال هي لغو كإلغائها في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ﴾(cx).

ومثله تحدث سيبويه رحمه الله عن زيادة (ما) في قوله تعالى﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾(cxi)، في قراءة من قرأها برفع (مثل)(cxii) على أنه وصف للمرفوع، أو بفتحه(cxiii) على أنه منصوب لأنه حال عن المستكن في (حق)، أو على أنه مبني لإضافته إلى المبني، وهو (أنكم تنطقون) بتأويل المصدر. وإنما اعتبر المصدر المؤول مبنيا في مثل هذا السياق بناء على أن الملفوظ هو الفعل والحرف المصدري، ليس مصدرا صريحا، والمصدر المؤول أمر تقديري غير ملفوظ به، فلما أضيف إليه المبهم إضافة لازمة صار كأنه أضيف إلى الجملة من الفعل والفاعل ظاهرا.

ذكر الإمام أن (ما) في الآية المتقدمة زائدة سواء قرأت الآية برفع (مثل)، أونصبه، أوببنائه. واستدل لبنائه بفتحة على أنه مبهم نحو إبهام (إذْ)، ومضاف إلى المبني، فجاز فيه الإعراب و البناء على الفتحة معا. كما استدل على زيادتها بأمرين، أولا بقراءة رفع لفظ (مثل) فقال: (فلولا أنَّ ما لغوٌ لم يرتفع مثل)(cxiv)، ثانيهما سلامة نظام الكلام من الخلل مع سقوطها وحذفها في كلام العرب فقال: (وإن نصبت(cxv) (مثل) فما أيضاً لغوٌ، لأنَّك تقول: مثلَ أنّك ها هنا)(cxvi).

وبالإضافة إلى ذلك أشار الإمام في بعض حديثه عن زيادة (ما) مع أداة التشبيه هنا في هذه الآية إلى دلالة هذه الزيادة، وقضية مهمة أخرى، وهي أن (ما) في قراءة من قرأ الآية بفتح (مثل) زائدة كما رأينا، إلا أن زيادتها لازمة أيضا؛ لأنها جاز كقرينة دالة على تحديد طرفي التشبيه ووجه الشبه معا، فهي لا تسقط في مثل هذا السياق نظرا إلى أهمية وظيفتها، فقال ما نصه:(وإن جاءت ما مسقطة من الكاف في الشعر جاز، كما قال النابغة الجعدي[في البحر الطويل]:

قرومٍ تسامى عند بابٍ دفاعُه ... كأنْ يؤخذ المرء الكريم فيقتلا(cxvii)

فـ(ما) لا تحذف ها هنا كما لا تحذف في الكلام من أنَّ)(cxviii). يفهم من كلام سيبويه أن (ما) في الآية مع زيادتها لا تحذف حذر التباس الكلام بغيره معنى، إذ يدل وجود (ما) الزائدة مع أداة التشبيه (مثل) في الآية على أن المراد هو التشابه بين حقانية وجود المشبه وحقانية وجود المشبه به في الوصف المشترك وهو الثبوت واللزوم، لا بين الشيئين المشبه والمشبه به أنفسهما في الوجود، لذا قال المفسرون مثل الألوسي وغيره في تفسير هذه اللآية (وفي الآية من تأكيد حقية المذكور)(cxix). فإن أريد التشابه بين الشيئين أنفسهما في الوجود لا تزيد (ما) بعد أداة التشبيه. وإنما زيدت (ما) هنا للدلالة على (أن أحد الشيئين وجوده حق كما أن وجود الآخر حق. وأن الشيئين في أنفسهما كقولك " زيد فاسق كما أن عُمَرَ صالح " أردت أن هذا موجود وصحيح كما أن هذا موجود صحيح. وكذلك تقول: البساط تحتنا كما أن السماء فوقنا، أي: هذا حق كما أن هذا حق. وكذلك الظلال فوقنا كما أن السماء فوقنا، إذا أردت أنهما حقان. وإن أردت تشبيه أحدهما بالأخر قلت: " الظلال فوقنا كما [كذا] أن السماء فوقنا " أي هما متشابهان في كونهما[فوقنا]. ولم يرد أن هذا حق كما أن هذا حق)(cxx).

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد الرابعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2024م
www.ajsp.net

ب– تعليله للبدل: لقد تحدث سيبويه في بعض كتابه عن وقوع أنّ ومعمولها بدلا عن شيء، واستشهد له ببعض آي القرآن، وصرح هنالك بأمور من الأسرار البلاغية التي تستفاد من هذه الوظائف النحوية. ومما ذكره في هذا الباب من الآيات القرآنية قوله تعالى:﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ وصرح بأن: ((أنّ) مبدلة من " إحدى الطائفتين " موضوعة في مكانها كأنك قلت. وإذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم كما أنك إذا قلت: "رأيت متاعَك بعضَه إلى بعض" فقد أبدلت الآخر من الأول: فكأنك قلت: " رأيت بعض متاعك فوق بعض فإنما نصبت بعضا " لأنك أردت معنى: (رأيت بعض متاعك فوق بعض) كما جاء الأول على معنى: " وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين لكم ".وقال عز وجل:﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ فالمعنى والله أعلم: ألم يروا أن القرون الذين أهلكناهم إليهم لا يرجعون. ومما جاء مبدلا من هذا الباب قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ فكأنه قال: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم، وذلك أريد بها ولكنها إنما قدمت " أن " الأولى ليعلم بعد أي شيء الإخراج)[cxxi]. انظر إلى كلام سيبويه الأخير حيث قال: (ولكنها إنما قدمت " أن " الأولى ليعلم بعد أي شيء الإخراج) تجد فيه إشارة صريحة إلى مفاد أسلوب البدل، وبين أن المراد هو المبدل منه بالحكم، وإنما يؤتي بالمبدل منه للبيان والتوضيح.

ج– تعليله لحمل الفعل الماضي على المستقبل: تحدث الإمام عن وقوع فعل ماض موقع المضارع في بعض السياقات، منها قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾[cxxii]، حيث ورد جواب الشرط بالفعل الماضي، وهو في الأصل مستقبل لأنه مجازاة، فسأل سيبويه أستاذه الخليل عن ذلك فأجابه بأنه(في معنى: ليَظَلَّنَّ، كما تقول: «والله لا فعلتُ ذاك أبداً» تريد لا أفعل، وفي هذا التقدير سدَّ جواب القسم مَسَدَّ جواب الشرط)[cxxiii].

د– تعليله لإهمال ما وإعمالها عند الحجازيين: تحدث سيبويه رحمه الله عن سبب إهمال (ما) النافية في قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[cxxiv]، وبين قائلا :(لما تَقْوَ ما حيثُ نقضْتَ معنى ليس، كما لم تَقْوَ حين قدّمتَ الخبرَ. فمعنى ليس النفيُ، كما أنّ معنى كان الواجبُ، وكل واحدٍ منهما– يعني كان وليس– إذا جرّدته فهذا معناه[cxxv]. فإن قلتَ: ما كان، أدخلتَ عليها ما يُنْفَى به. فإن قلتَ: ليس زيدٌ إلاّ ذاهبا، أدخلتَ[هنا] ما يوجِبُ، كما أدخلتَ[على كان] ما يَنْفِي. فلم تَقْوَ ما في بابِ قَلْبِ المعنى كما لم تَقْوَ في تقديم الخبر)[cxxvi]. يريد أن (ما) تعمل عند الحجازيين عمل ليس لأنها بمعناها في إفادة النفي، فعلة عملها مشابهتها بليس في النفي، فإذا انتقض نفيها بـ(إلا) زالت المشابهة بينهما، وزالت علة العمل، فأهملت.

هـ– تحديد دلالة الألفاظ:، تحدث سيبويه – رحمه الله– عن دلالة بعض ألفاظ وردت في القرآن الكريم، منها لفظ (العلم) حيث يأتي بمعنى اليقين مرة وبمعنى المعرفة أخرى ، ميز الإمام بين الاستعمالين وحدد لكل موقعه، فقال:(قد يكون علمتُ بمنزلة عرفتُ لا تريد إلاّ عِلْمَ الأوّل[cxxvii]. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾[cxxviii]، وقال سبحانه:﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [cxxix] فهي ههنا بمنزلة عرفتُ كما كانت رأيت على وجهين)[cxxx] فقد وضع سيبويه إذ قال: (وقد يكون «علمتُ» بمنزلة عَرَفْتُ، لا تريد إلا عِلْم الأول) ضابطا مفيدا وهو أن العلم قد يراد به في اللغة العربية العلم بذات شيء نفسه إذا لم يكن معلوما قبل، وقد يراد به العلم بوصف شيء أو خبره إذا كان ذاته معلوما لديه؛ وقد شرح السيرافي كلامه بقوله: («علمت» إذا أرَدْت به معرفة ذات الاسم، ولم تكن عارفاً به من قبل، كقولك: «علمتُ زيداً أي: عَرَفْتُه، ولم أكن أعرفُه من قبلُ، وليس بمنزلة قولك: «علمتُ زيداً قائماً» إذا أَخْبَرْتَ عن معرفتِك بقيامه، وكنتَ عارفاً من قبل)[cxxxi]. ولقد قرر سيبويه بذلك أن الفعل «علم» في الآيتين تَضَمَّنَ معنى عَرَف، ودل على أنه هنالك في الآيتين منصب على المفعول به ذاته لا على وصفه الذي يخبر به عنه، ودل العدول عن استعمال لفظ المعرفة الى العلم على أن المعرفة هنالك لم تكن معرفة مجردة خالية عن الجزم بل كانت معرفة تامة مصاحبة لليقين .

1– موقف سيبويه عن معاني الأدوات: كتاب سيبويه مشحون بمباحث الأدوات يتحدث عنها في أبواب مستقلة، وبالإضافة إلى ذلك يتحدث عن معاني كثير من الأدوات في ثنايا أبواب نحوية آخرى، فيبيّن معانيها من خلال سياقها بإيجاز، ويستشهد لها بآيات قرآنية، ويحلل ضمنها تلك الآيات تحليلا بلاغيا :

2– موقفه تجاه معاني وَيْ وكأنّ في بعض الآيات: تحدث الإمام سيبويه عما أفادته كلمة (وي) في قوله تعالى: ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾[cxxxii] ومثله في قوله تعالى: ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[cxxxiii]. ذكر في ذلك مذهب الخليل إذ يرى أن ﴿ وَيْ ﴾ مفصولةٌ عن ﴿ كأنَّ ﴾ والمعنى: (على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قَدْر علمهم أو نبهوا فقيل لهم أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا)[cxxxiv]، (وي) – كما ذكره السيرافي– (كلمة تندّم، يقولها

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing
الإصدار السابع – العدد ارأبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2024م
www.ajsp.net

المتندم عند إظهار ندامته، ويقولها المندم لغيره، والمنبه له، ومعنى «وكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده»، وإن (كأن) لفظه لفظ التشبيه فمعناه التحقيق)[cxxxv].ثم أشار سيبويه إلى ماقاله المفسرون في تفسير كلمة (ويكأن) وبين أنهم (قالوا: ألم تَرَ أن الله)[cxxxvi].

3 – موقفه عن معنى لعل في بعض الآيات: (لعل) أداة ناسخة تفيد في اللغة العربية ترجيا وهو ترقب أمر غير موثوق حصوله، يسمى طمعا إن كان المتوقع حدوثه أمرا محبوبا، كما يسمى إشفاقا إن كان المتوقع حدوثه أمرامحزنا ومكروها. وقد استشكل المفسّرون حمل لفظ «لعل» على بابها من الترجّي في كل ما أشبه قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[cxxxvii]، في كلام الله المجيد. فقال بعضهم: (لا يستقيم أن يَرِد ذلك في حَقِّ الله تعالى؛ إذ هو عالم بعواقب الأمور)[cxxxviii]، بَيْدَ أنَّ سيبويه لم يستشكل بقاءها على الترجّي، حاملا معناها على المخاطبين، وعلل ذلك بقوله: (العباد إنما كُلِّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يَعْنُون، فالعِلْمُ قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما ومبلغكما من العلم، وليس لهما أكثرُ من ذا ما لم يعلما)[cxxxix]. وعلى هذا يكون معنى الترجي مُنسحباً على المرْسَل، وهو هنا موسى وهارون. وفي رواية أخرى وردت في الدر المصون من علم الكتاب المكنون عن سيبويه أنه قال: (كلُّ ما وَرَدَ في القرآن مِنْ لعلَّ وعسى فهو من الله واجبٌ)[cxl].

4 – موقفه عن معنى (أو) في بعض الآيات: وقف سيبويه على «أو» من قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾[cxli] فقال: (وإذا أرادوا معنى أنك لست واحداً منهما قالوا: لست عَمْراً ولا بشراً، أو قالوا: «أو بشراً» كما قال: ﴿ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ ولو قلت: أو لا تُطِع كفوراً، انقلب المعنى)[cxlii]. ذكر أن العطف بأو في كلام موجب قد يفيد الإباحة، وذلك في كل ما كان الأصل فيه الجواز دون الإلزام، على سبيل المثال إذا قلت: جالس أحمد، أو محمودا أو حامدا، دل على أن المخاطب طلب منه أن يجالس أحد هؤلاء المذكورين فيما كان كل واحد منهم صالحا للجلوس إليه، فحكم جواز الجلوس في ذلك ينسحب على كل ما عطف بأو، فإن جمعهم في مجالسته لايلزم منها محظور. وأنه إذا جاء في كلام غير موجب وكان الأصل فيه الحظر أفاد نفس المفاد لكن في عكس الجواز، يعني أن نفي الحكم أو منعه والحذر منه ينسحب على جميع ما عطف بأو، على سبيل المثال لو قلت: لا تأكل خبزا أو لحما أو تمرا، وكان أكلها في الأصل محظورا دل على انسحاب الحذر والمنع عن جميع المذكور بعد أو مع المعطوف عليه، وأفاد أن المخاطب منهي عن أكل كل واحد من هذا المذكور، يعني كل واحد منها منهي المخطاب عن أكله. وإذا قال: لا تأكل خبزا أو لا تأكل لحما دل على أن المنهي عنه أكل اللحم لا الخبز، يعني أفاد (أو) معنى بل، وهذا معنى قول سيبويه(ولو قلت: أو لاتطع كفورا، انقلب المعنى)، فمعناه بل لاتطع كفورا.

موقفه عن مفاد أن التفسيرية في بعض الآيات: تحدث سيبويه عن معاني (أن) في اللغة العربية، وخص بابا لما أتى فيه (أنْ) بمعنى أي فقال: (باب ما تكون فيه أن بمنزلة أي) فحلل ضمنه آيات قرآنية ورد فيها أن بهذا المعنى، منها قوله عز وجل: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾[cxliii]: ،ومثله قوله تعالى: ﴿ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[cxliv]) ، ذكر سيبويه أن الخليل بن أحمد زعم (أنه بمنزلة أي؛ لأنك إذا قلت: انطلق بنو فلان أن امشوا، فأنت لاتريد أن تخبر أنهم انطلقوا بالمشي.... ومثل هذا في القرآن كثير)[cxlv].

5 – موقفه عن معاني إنْ في بعض الآيات: تحدث سيبويه عن معاني (إنْ)، وبين أنها تفيد المجازاة، فقال: (وأما إنّ فتكون للمجازاة)[cxlvi] وبالإضافة إلى ذلك تأتي بمعان عدة أخرى أيضا، ذكر أنها قد تفيد النفي، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (20)﴾[cxlvii]. كما صرح بأنها قد تفيد التأكيد إذا كانت مخففة من الثقيلة، ومثل لها بقوله تعالى:﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[cxlviii] . ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [cxlix] وذكر أنها تفيد التوكيد، فقال إنها قد (تكون أن يبتدأ ما بعدها في معنى اليمين، وفي اليمين) [cl]. ثم أضاف، فقال: (وحدثني من لا أتهم، عن رجل من أهل المدينة موثوق به، أنه سمع عربياً يتكلم بمثل قولك: إنْ زيدٌ لذاهبٌ، وهي التي في قوله جل ذكره: ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (167) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذه إنَّ محذوفةٌ)[cli]. ذكر سيبويه أن (إنْ) في قوله تعالى(وإن كانوا ليقولون) مؤكدة.

6 – موقفه عن معنى لات في بعض الآيات: ومثله تحدث الإمام سيبويه عن معنى«لات»، وبين أنها بمعنى ليس عن بعضهم؛ إذ هي بمعناها،وفسر في ضوئها قوله تعالى: ﴿(كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (3)﴾[clii] وبين أنها بمعنى ليس، ولا يُجاوَزُ بها الأزمان المبهمة، فقال:(وذلك مع الحِين خاصّةً، لا

تكون لاتَ إلّا مع الحين، تُضْمِرُ فيها مرفوعا وتَنْصِبُ الحين لأنّه مفعول به، ولم تَمَكَّنْ تمكُّنَها، ولم تستعمل إلا مضَمراً فيها، لأنها ليس كليس في المخاطبَة والإخبار عن غائبٍ... وزعموا أنّ بعضَهم قرأ: " وَلاَتَ حِينُ مناص " وهي قليلة... ولا يجاوَزُ بها هذا الحين رفعتَ أو نصبتَ، ولا تَمَكَّنُ في الكلام كتمكُّن ليس)[cliii].

وبالإضافة إلى ذلك تحدث الإمام سيبويه عن معاني بعض الكلمات القرآنية كذلك، منه حديثه عن معنى لفظ (لاجرم) في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾[cliv] فقال: (ومعناها لقد حَقَّ أن لهم النار، ولقد استحق أن لهم النار، وقولُ المفسرين معناها: حقاً أنَّ لهم النار، يَدُلُّك على أنها بمنزلة هذا الفعل إذا مُثِّلَتْ)[clv]. وأضاف أن الخليل زعم(أنَّ لا جرم إنَّما تكون جواباً لما قبلها من الكلام، يقول الرجل كان كذا وكذا، وفعلوا كذا وكذا فتقول: لا جرم أنَّهم سيندمون أو أنَّه سيكون كذا وكذا)[clvi]. مثله قال سيبويه أن «كان» في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾[clvii] . بمعنى وقع لذا اكتفت في هذا السياق بفاعلها[clviii].

ثالثا– إنزال غير العاقل منزلة العقلاء: استشكل سيبويه بعض آيات أُنزل فيها غيرُ العاقل منزلَةَ العاقل، وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[clix] ومثله قوله تعالى﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[clx]، ومثله قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[clxi]، ومثله قوله تعالى: ﴿ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[clxii] فسأل أستاذه الخليل عنها، فأجاب: بأنه (بمنزلة ما يعقل ويسمع، لما ذكرهم بالسجود، وصار النمل بتلك المنزلة حين حَدَّثْت عنه كما تُحَدِّث عن الأناسيّ)[clxiii]، وبالإضافة إلى ذلك علل هذا الصنيع، فقال: (لأنها جُعِلَت في طاعتها، وفي أنه لا ينبغي لأحد أن يقول: «مُطِرنا بِنَوْء كذا»، ولا ينبغي لأحد أن يعبد شيئاً منها، بمنزلة مَنْ يعقل من المخلوقين ويُبْصِرُ الأمور)[clxiv].

رابعا– التوارد بين صيغ المفردات اللغوية: ومما استشكله العلماء في تعبير القرآن استعمال بعض الصيغ بدل بعض آخر في كثير من الآيات القرآنية، استشهد سيبويه لوجود مثل تلك الظواهر في اللغة العربية، واستشهد لها بآيات قرآنية وحللها تحليلا بلاغيا، من ذلك عَودُ الضمير في (بطونه) من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[clxv] وهو مفرد على (الأنعام) وهو من صيغ جموع قلة على وزن أفعال، فقال: (وأما (أفعال) فقد يقع للواحد، من العرب من يقول: "هو الأنعام"، وقال أبو الخطاب[clxvi]: «سمعت العرب يقولون: هذا ثوب أكياش)[clxvii] . ومثله تحدث سيبويه رحمه الله عن لفظ (نفسا) من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾[clxviii] في سياق كلامه عن استعمال العرب لفظ المفرد بمعنى الجمع فقال(وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يستعمل في الكلام)[clxix] فاستشهد له، ثم قال: (ومثل ذلك في الكلام قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾ وقررنا به عينا، وإن شئت قلت: أعينا، وأنفسا) [clxx].

خامسا– اكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه: قضيةاكتساب المضاف التأنيث أو التذكير مما أضيف إليه ليس قضية نحوية، بل هي كذلك في طبيعتها من المعاني بلاغية، خرج الإمام في ضوء هذه الظاهرة اللغوية بعض القراءات القرآنية منها: قراءة ﴿تلتقطه بعض السيارة﴾[clxxi] على أن المذَكَّر قد يكتسب التأنيث عند إضافته إلى مؤنث، صرح بأن ذلك يجوز فيما كان المضاف فيه جزءا من المضاف إليه بحيث لو حذفته وأقمت المضاف إليه مقامه صح المعنى، فقال: (وربَّما قالوا في بعض الكلام ذهبتْ بعضُ أصابِعه، وإنَّما أنّث البعضَ لأنّه أضافه إلى مؤنّثٍ هو منه، ولو لم يكن منه لم يُؤَنِّثْه...وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به: اجتَمعتْ أهلُ اليمامِة، لأنَّه يقول في كلامه: اجتمعتِ اليمامةُ، يعني أهل اليمامة، فأنّث الفِعْلَ في اللفظ إذْ جعله في اللفظ لليمامة، فترك اللفظَ يكونُ على ما يكون عليه في سعة الكلام)[clxxii].

المطلب الثاني: مظاهر تحليل سيبويه للصور البيانية في القرآن:

تحدث سيبويه عما ورد في أسلوب القران الكريم من مظاهر بيانية بقلة، فتحدث عن بعض صور التشبيه والمجاز التي وردت في بعض آيات قرآنية، وإليك تفصيل ذلك فيما يلي:

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

أولا – التشبيه: ومن الصور البيانية التي وردت في القرآن الكريم وقد لا يفهم من نبا به ذوقه البلاغي مقصودها بسهولة، وتحدث عنها سيبويه في كتابه بشيء من التفصيل صورة تشبيه وردت في قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾[clxxiii] حيث جاء طرفاها بشكل لا يدل على المقصود بها بصورة واضحة جلية؛ لانعدام ما يدل على الوصف المشترك بينهما. تدل الصورة في الظاهر على تشبيه الكفار براع يرعى الغنم حيث ينادي دوما ما لايسمع منه إلا دعاء أو نداء. تحدث سيبويه عن هذه الصورة في بعض كتابه، ووضح بحسه البلاغي مطلوبها بتحديد طرفيها المشبه والمشبه به، وصرح بأن الكفار (لم يُشَبَّهوا بما يَنْعِق، وإنَّما شُبِّهوا بالمنعوق به. وإنَّما المعنى: مَثَلُكم ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الناعِق والمنعوقِ به الذى لا يَسمع. ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطَب بالمعنى)[clxxiv]. فبين أنه حذف في أسلوب التشبيه شيء من طرفه الأول المشبه، وحدد المحذوف بأنه (مثلكم)، وعلل حذفه بالاعتماد على فهم السامع، إذ دل عليه إثبات نظيره في الطرف الثاني. فقد أومأ سيبويه في تحليله– وإن لم يصرح به– إلى أنه تشبيه تمثيل، فذكر أن الله شبَّه حال رسوله وهو يدعو بالاهتمام الكامل من لا يفهمون ما يدعوهم إليه غير الأصوات، براعي الغنم الذي ينادي غنمه الذي لا يفهم من ندائه غير ما يسمع من الأصوات.

ومثله تحدث سيبويه رحمه الله عن صورة التشبيه في قوله تعالى﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾[clxxv]، وحدد طرفي الصورة بالاعتماد على (ما) الزائدة كما ذكرنا، ذهب الإمام إلى أن (ما) في الآية المتقدمة زائدة لازمة لا تحذف حذر التباس الكلام بغيره معنى، إذ يدل وجود (ما) الزائدة مع أداة التشبيه (مثل) في الآية على تمييز طرفي التشبيه، فالمشبه عند الإمام هو حقانية وجود الأشياء المذكورة في الآيات التي سبقت هذه الآية وتدل على قدرة الله اللامحدودة، والمشبه به هو حقانية وجود كلام الناس ونطقهم في الوصف المشترك وهو الثبوت واللزوم، فالتشبيه يجري بين حقانية مجموعة مما ذكر في الآيات التي سبقت هذه الآية، وبين حقانية كلام الناس ونطقهم، وليس المراد التشابه بين الشيئين أنفسهما في الوجود. صرح بأن (ما) هنا زيدت للدلالة على (أن أحد الشيئين وجوده حق كما أن وجود الآخر حق. وأن الشيئين في أنفسهما كقولك " زيد فاسق كما أن عُمَرَ صالح " أردت أن هذا موجود وصحيح كما أن هذا موجود صحيح. وكذلك تقول: البساط تحتنا كما أن السماء فوقنا، أي: هذا حق كما أن هذا حق. وكذلك الظلال فوقنا كما أن السماء فوقنا، إذا أردت أنهما حقان. وإن أردت تشبيه أحدهما بالأخر قلت: " الظلال فوقنا كما [كذا] أن السماء فوقنا " أي هما متشابهان في كونهما[فوقنا]. ولم يرد أن هذا حق كما أن هذا حق)[clxxvi].

ثانيا المجاز: ولقد تحدث سيبويه في كتابه عن ظاهرة الاتساع والسعة في اللغة، وبين أنه كثير في استعمال العرب، وخص لبيان اعتناء العرب بهذه الظاهرة وأخذهم بها في كلامهم بابا بعنوان (باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام). قام سيبويه في هذا الباب بتحليل بعض ما تكلم به العرب، ودرسه البلاغيون فيما بعد تحت عنوان المجاز. لم يعبر سيبويه عن هذه الظاهرة اللغوية باسم المجاز، بل عبر عنه بالاتساع والسعة، لكن شارحه السيرافي فسر تعبيره بالمجاز، فقال: (هو مجاز واتساع)[clxxvii]، فالاتساع في الحقيقة مصطلح عام يشمل ما عالجه البلاغيون فيما بعد تحت عنوان المجاز المرسل والعقلي، كما يشمل غيرهما من طرق التعبير الممكنة وما أكثرها .

استشهد سيبويه ضمن عرضه شواهد لهذه الظاهرة اللغوية من كلام العرب ببعض آيات قرآنية ورد فيها ظاهرة الاتساع اللغوي من قبيل المجاز المرسل والعقلي أيضا، وقام بتحليلها في ضوء تلك الظاهرة، ومما صرح بأنه مما جاء على اتّساع الكلام والاختصارِ قوله تعالى جدّه: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[clxxviii]، بين أنه صح أن يقول (اسال القرية) على أنه (يريد أهلَ القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان هاهنا)[clxxix]. يتمثل الاتساع في الكلام هنا في إيقاع الفعل (اسأل)على محل حل فيه المفعول به الحقيقي، إذ أصل الكلام (اسأل أهل القرية)، فأوسع في الكلام، وأوقعه على محل وقع فيه المفعول به بدل إيقاعه على المفعول به نفسه، يعني ذكر المحل وهو القرية، وأريد به ما حل فيه وهو أهله، والسر في صحة ذلك أن بينهما تلازما محتوما؛ إذ لايمكن تصور الأهل دون محل يحل هو فيه، فيفهم الأهل من ذكر المحل مباشرة، ولا يلتبس فهمه على السامع أصلا.

ومثله ذكر قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[clxxx]، فيما جاء على الاتساع في اللغة، وأضاف قائلا:(و إنّما المعنى: بل مكركم فى الليل والنهار)[clxxxi]. وذكره في موضع آخر، وبين وجه اتساعه مصرحا بأن (الليلُ والنهار لا يَمكُرانِ، ولكنّ المكرَ فيهما) [clxxxii] فحدد بذلك وجه نسبة المكر – وهو من عمل الإنسان– إلى الليل

والنهار في الآية نسبة إضافية، وبين أنها صحت لأن الليل والنهار ظرف زمان للمكر، وهو يقع فيهما، فصح إضافته إليه بدل فاعله، لأنه مراد عند إضافته إلى فاعله أيضا؛ إذ لايمكن أن يوقعه الفاعل، أو يصدر منه عاريا من الزمن، فنسب المكر في الآية إلى الليل والنهار اعتمادا على تلك الملابسة الواضحة والحتمية بينهما.

ومثله تحدث سيبويه عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[clxxxiii] وعالجه ضمن ما ورد في كلام الله اعتمادا على الاتساع في اللغة، وأضاف قائلا(وإنّما هو: ولكنّ البِرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخِر)[clxxxiv] فأومأ بذلك – وإن لم يصرح– إلى وجه حذف المضاف وقيام المضاف إليه مقامه في النسبة الإضافية، وبين أنه صح ذلك لأمن اللبس، إذ البر مسبب، عن فاعله وهو (من أمن).

الخاتمة وأهم النتائج

ومن الحقائق الثابة أن القرآن أثبت مصدر لغوي عند علماء المسلمين والعرب كما أنه أثبت مصدر تشريعي عند المسلمين والعرب قاطبة، فمن التبيعي أيضا أن يكون هذا المصدر اللغوي والتشريعي قبلة دراسة المسلمين من الفقهاء واللغويين والنحاة جميعا، والإمام سيبويه بما أنه إمام النحاة واللغويين بلا منازع يتوجه نحو هذه الوثيقة السماوية من وقت لآخر من أجل الاستشهاد للظواهر اللغوية أثناء التسجيل لآرائه البناء بهذه المناسبة فيما أورثناه باسم الكتاب الذي يعتبر هو نفسه أكبر كتاب موسوعي في النحو واللغة إجماعا. فقام الباحث بدراسة تلك الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، وألفى من خلال دراسته ما يلي:

أ – تعرض الإمام النحوي رحمه الله ضمن تحليلاته اللغوية إلى تحليل تلك الشواهد القرآنية تحليلا بلاغيا أيضا.

ب– القضايا البلاغية التي ناقش في ضوئها الإمام الآيات القرآنية تتردد بين المعاني البلاغية والصور البيانية معا.

ج – ثبت من البحث والدراسة أن كفة تحليل الإمام للآيات في ضوء المعاني البلاغية أرجح بكثير بالنسبة إلى كفة تحليله لها في ضوء القضايا البيانية.

د – المعاني البلاغية التي خرج بها سيبويه كثيرا من الآيات القرآنية يمكن أن نلخص أهمها فيما يلي:

1 – الاعتماد على المقام والسياق في التحليل النص القرآني؛

2 – تعليل الظواهراللغوية في النص القرآني وبيان الغرض منها؛

3 – تعليل دلالة الألفاظ ؛

4 – معاني الأدوات ؛

5– إنزال شيء منزلة غيره؛

6 – التوارد بين صيغ المفردات في اللغة لغرض بلاغي؛

7 – اكتساب ظاهرة لغوية حكم غيرها لكونها جزءا منه أو كالجزء منه؛

8 – وبالإضافة إلى ذلك تحدث سيبويه –رحمه الله– في كتابه عن بعض قضايا بلاغية أخرى متعلقة بمعان بلاغية وردت مبثوثة ضمن أبواب نحوية متعددة منها الحذف و الذكر ، والإظهار والإضمار، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير وغيرها من الموضوعات البلاغية وفسر عن طريقها من حين لآخر الآيات القرآنية، ووضح ما روعي في أسلوبها من الوسائل اللغوية التي يمكن أن ينال بها الأهداف والأغراض الكلامية السامية.

هـ – وأما مظاهر اعتماد الإمام رحمه الله في تحليل النصوص القرآنية على الصور البيانية ضئيلة لا تكاد تتجاوز نطاق التشبيه والمجاز المرسل والعقلي.

و– والنصوص القرآنية التي عالج سيبويه رحمه الله الصور البيانية الواردة فيها قد لاتتجاوز عد الأصابع أيضا.

ز– يبدو من الدراسة بوضوح أن الإمام لم يتعرض لمناقشة مثل هذا النوع من القضايا البيانية إلا عند الامتساس بحاجة إلى بيان دورها في تجلية المعاني المقصودة المتوخية التي قد لا يدركها الدارس من الآيات دون إلقاء الضوء على حدود تلك الصور البيانية.

ح – فتدل هذه الدراسة على أن سيبويه كما ثبتت إمامته في اللغة والنحو حيث رسخ في هذين المجالين قدمه يعتبر إماما في البلاغة كذلك.

ط – وأنه من أوائل من أسس الدراسات البلاغية حول القرآن الكريم أيضا بحيث وضع بعمله هذا حجر الأساس لهذا الصرح العلمي العظيم.

ي – وتدل الدراسة – في الوقت نفسه– بوضوح بأن الدراسة النحوية ذات صلة وثيقة بقضايا بلاغية، فلايمكن تطور تلك الدراسات مستقلة دون الاعتماد على المعاني البلاغية ؛ لذا لا نكاد نجد نحويا مهما كان دوره في الدرس اللغوي والنحوي إلا وقد تعرض لا محالة للقضايا البلاغية بكثرة أثناء تحليلاته النحوية، ونرى إنتاجه النحوي مشحونا بتلك القضايا.

وفي الأخير نسأل الله سبحانه وتعالى جميعا أن يجعل هذا المجهود المتواضع في ميزان حسناتنا، وأن ينفعنا به وطلاب اللغة العربية جميعا، كما نرجوه جميعا أن يصفح زلاتنا ويعفو هفواتنا، ويغفر خطايانا، ويسدد خطانا فيما يحب ويرضى، هذا وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد المصطفى الصادق الأمين، وسيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد.(1401). *الحجة في القراءات السبع*. تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم. الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان: دار الشروق، .

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس.(1399-1979). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

ابن منظور، محمد مكرم. (1414). لسان العرب. الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان: دار صادر.

ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن على.(1422- 2001). *شرح المفصل*. تحقيق: إميل بديع يعقوب. ، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو حيان، محمد بن يوسف.(14020). *البحر المحيط*. تحقيق: صدقي محمد جميل. (دون رقم الطبع) ، بيروت، لبنان: دار الفكر.

الأزهري، أبو منصورالهروي محمد بن أحمد.(2001). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

الألوسي،شهاب الدين محمود. (1415). *تفسير روح المعاني*. تحقيق:علي عبد الباري عطية. دو رقم الطبع، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

إميل، بديع يعقوب.(1417- 1996). *المعجم المفصل في شواهد العربية*. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

البغدادي، عبد القادر. (1998). *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*. تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع اليعقوب.(دون رقم الطبع) بيروت، لبنان: دارالكتب العلمية.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل.(1407- 1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الطبعةالرابعة، بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

الحموي، ياقوت بن عبد الله.(1995). *معجم البلدان*. الطبعة الثانية، بيروت، لبنان: دار الصادر.

الحموي،شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله.(1414- 1993). *معجم الأدباء*. تحقيق: إحسان عباس. الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

الزركلي، خير الدين بن محمود. (2002). *الأعلام*. الطبعة الخامسة عشر. دار العلم للملايين.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو. (1987). *المستقصى في أمثال العرب*. الطبعة: الثانية، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية .

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو.(1407). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. الطبعة الثالثة، بيروت، لبنا: دار الكتاب العربي.

السمين، شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن يوسف.(د- ت) *الدر المصون في علم الكتاب المكنون*. تحقيق: أحمد محمد الخراط.(دون رقم الطبع) دمشق: دار القلم.

سيبويه، أبو بشرعمرو بن عثمان بن قنبر.(1408- 1988). *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثالثة. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله.(2008). *شرح كتاب سيبويه*. تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي. الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

الإصدار السابع – العدد ارأبعة وستون
تاريخ الإصدار: 2 – شباط – 2024م
www.ajsp.net

ضيف، شوقي. (د- ت). *البلاغة تطور وتاريخ*. الطبعة الثانية عشر القاهرة، مصر: دار المعارف.

الفارسي، أبوعلي الحسن بن أحمد. (1413- 1993)، *الحجة للقراء السبعة*. تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق. الطبعة الثانية. دمشق، بيروت، لبنان: دار المأمون للتراث.

Manifestations of rhetorical studies on the Holy Qur'an in Sibawayh's grammatical efforts

Prepared by:

Dr. Muhammad Qasim Akhundzada

Associate Professor and Lecturer of Linguistic and Rhetorical Sciences in the Arabic Language Department at the College of Arts and Foreign Languages at Kabul University

Abstract :

This article explores the profound insights and contributions of Imam Sibawayh in the realm of rhetorical analysis applied to the Holy Quran during the early stages of rhetorical and linguistic studies. It begins with a brief introduction، highlighting the study's significance and rationale. Moreover، the article provides a concise overview of Imam Sibawayh's esteemed status and his influential book. Subsequently، it thoroughly explores the meticulous efforts exerted by Imam Sibawayh in the rhetorical analysis of the Holy Quran، specifically through his detailed examination of Quranic verses and their rhetorical meanings.

Keywords: rhetorical studies, status, context, rhetorical meanings, graphic images.

[i]– ضيف شوقي.(بلا تاريخ). البلاغة تطور وتاريخ. القاهرة، مصر: دار المعارف، ص 28.

[ii]– الزركلي، خير الدين بن محمود.(2002) الأعلام. دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، مايو، ج 5،ص81.

[iii]– ضيف، شوقي.(بلا تاريخ). البلاغة تطور وتاريخ. ص29.

[iv] – سورة النساء، آية: 162.

[v]– سورة البقرة. آية: 177.

[vi] – سيبويه، (1408. 1988). الكتاب. ج2، ص63.

[vii]– يعني أن النعت وظيفته تمييز المنعوت من غيره، فيقطع إلى النصب للمدح أوالذم إذا كان المنعوت به معروفا بين الناس، يعرفونه كما يعرفه المتحدث، ولايحتاجون في تمييزه من غيره إلى نعته.

[viii]– أي اعتبره الخليل بن أحمد ثناء وتعظيما، لأن المتحدث لم يذكره ليميز به المنعوت من غيره، بل ذكره للمباهاة والمفاخرة بعظمته إن كان نعته مما يدل على العظمة، أو للاحتقار به إن كان النعت مما يدل على الحقارة بين الناس.

[ix]– سيبويه، (1408– 1988). الكتاب. ج2، ص 65– 66.

[x]– سورة لهب، آية: 4.

[xi]– سيبويه، (1408. 1988). الكتاب. ج2، ص70).

[xii]– المرجع السابق، ج2، ص 69. أي لايجوز النصب في نعت من قال مررت بعبد الله الصالح، إذا لم يكن عبد الله هذا مشهورا عند الناس بحيث يعرفونه من غير النعت، لأنه يجتاج هذا الوصف ليتميز به عن عبد الله غيره، فمخاطبه في حاجة إلى ما يميز المنعوت ويعرفه له قبل حاجته إلى مدحه أو الفخر به أو تعظيمه.

[xiii]– المحل: الجدب، والقحط.

[xiv]– سيبويه.(1408. 1988). الكتاب.ج2، ص 69.

[xv]– المصدر السابق.

[xvi]– (المصدر السابق، ص70).

[xvii] – سورة الفرقان، آية: 63.

[xviii] – سيبويه، (1408. 1988). الكتاب. ج 1، ص325.

[xix] – هوالأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب، أخذ منهم اللغة مباشرة. انظر الأعلام،ج3، ص 288.

[xx] – سورة المزمل،آية: 18.

[xxi] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج2، ص 47.

[xxii] – سورة النساء، آية: 159.

[xxiii] – انظر سيبويه. (1408. 1988). الكتاب. ج2، ص 346.

[xxiv] – سورة يوسف، آية:83.

[xxv] – سورة الأحقاف، آية: 35.

[xxvi] – سيبويه.(1408. 1988). الكتاب.ج 2، ص 269.

[xxvii] – سورة محمد،آية: 21.

[xxviii] – سيبويه. (1408. 1988). الكتاب. ج 1، ص141.

[xxix] – سورة الأنفال، أية: 18.

[xxx] – سيبويه.(1408. 1988). الكتاب. ج3، ص125.

[xxxi] – سورة البقرة، آية: 90.

[xxxii] – سيبويه.(1408. 1988). الكتاب. ج3، ص155.

[xxxiii] – سورة النور، آية: 2.

[xxxiv] – سيبويه.(1408. 1988). الكتاب.ج1، ص143.

[xxxv] – سورة النور، آية: 1.

[xxxvi] – أخرج البيت الإمام الزمخشري في المستقصى في الأمثال، برقم 1254. وقائلة: أي رب امرأة قائلة. خولان: حي من أحياء اليمن كما قاله عبدا لقادر البغدادي في خزانة الأدب. انظر البغدادي، عبد القادر. (1998).خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع اليعقوب، بيروت، لبنان: دارالكتب العلمية، ج 8، ص19. وهو منسوب – كما قاله الحموي ياقوت– إلى خولان بن عمرو من سبأ، فتحه المسلمون في أيام عمر الفاروق رضي الله عنه. انظر الحموي، ياقوت بن عبد الله، (1995). معجم البلدان. ج2، ص407. أكرمة الحيين: كريمة القريتين وقبليتين، وهما قبيلة أبيها وقبيلة أمها. خلو: خالية عن الزواج لم تتزوج بعد.

[xxxvii] – يقصد بالمضمر العامل المقدر ، والمراد بالفعل في قوله سيبويه فعل(فانكح)، والضمير في قوله (فيه)يرجع إلى اسم مرفوع (خولان) أي هذه خولان.

[xxxviii] – سورةالنساء،آية:16.

[xxxix] – سورة محمد، آية:15.

[xl] – سيبويه.(1408. 1988). الكتاب. ج 1، ص143.

[xli] – سورة النور، آية:9.

[xlii] – وهي قراءة الحسن، وأبو رجاء، وقتادة، والسلمي، وعيسى، انظر الألوسي. (1415). تفسير روح المعاني. ج9، ص303. وتخرج على أن(أنْ) مخففة من الثقيلة، واسمها ضميرشان محذوف، و(غضب الله عليها) جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل الرفع خبر (أن).

[xliii] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج3، ص163– 164.

[xliv] – سورة النساء، آية: 171.

[xlv] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج 1، ص 284.

[xlvi] – سورة محمد، آية: 4.

[xlvii] – سيبويه.(1408– 1988).الكتاب. ج1، ص 236.

[xlviii] – سورة الأنعام، آية: 137.

[xlix] – سورة البقرة، أية: 135.

[l] – سيبويه،(1408. 1988)، ج 1،ص 257.

[li] – سورة الزمر، آية: 3.

[lii] – سيبويه. (1408– 1988). الكتاب. ج3، ص 143.

[liii] – سورة آل عمران، آية: 180.

[liv] – أي اكتفاءً

[lv] – سيبويه. (1408– 1988). الكتاب. ج 2، ص 391.

[lvi] – سورة البقرة آية:48.

[lvii] – سورة الزمر، آية: 73.

[lviii] – سورة البقرة، آية: 165.

[lix] – سورة الأنعام،أية: 27.

[lx] – سيبويه. (1408– 1988). الكتاب. ج 3، ص103.

[lxi] – سورة الجن،آية: 18.

[lxii] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج 3، ص127.

[lxiii] – سورة الأنبياء، أية: 92، وسورةالمؤمنون، آية: 52.

[lxiv] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج 3، ص 127.

[lxv] – المصدر السابق.

[lxvi] – سورة القمر، آية: 10.

[lxvii] – سيبويه.(1408–1988). الكتاب. ج 3، ص 127.

[lxviii] – سوة هود،آية: 25.

[lxix] – سيبويه.(1408–1988)، ج 3، ص 127.

[lxx] – سورة الزمر، أية: 46.

[lxxi] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج2، ص 196.

[lxxii] – سورة النساء،آية: 24.

[lxxiii] – سورة النمل، آية: 88.

[lxxiv] – سورة النساء،آية: 122.

[lxxv] – سورة الأحقاف، آية: 35.

[lxxvi] – سيبويه.(1408–1988). الكتاب. ج1، ص76.

[lxxvii] – سورة الواقعة،آية:17– 22.

[lxxviii] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج 1، ص172.

[lxxix] – سورة الشورى، آية: 51.

[lxxx] – يقصد أن (أو يرسل) منصوب بأن مضمرة، وليس منصوبا بـ(أن) التي في قوله: (أن يكلمه) لفساد المعنى عند عطفه على (يكلمه).

[lxxxi] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج 3،ص49.

[lxxxii] – سورة السجدة، آية :1–3.

[lxxxiii] – سيبويه.(1408–1988). الكتاب. ج3، ص 173.

[lxxxiv] – سورة الزخرف، آية: 16.

[lxxxv] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج3، ص173.

[lxxxvi] – سورة الزخرف،آية: 51– 52.

[lxxxvii] – سيبويه.(1408– 1988).الكتاب– ج3، ص173.

[lxxxviii]– ولعل تعليله هذا كان سببا في ذهاب بعض المفسرين إلى أن سيبويه وأستاذه الخليل ذهبا إلى أن (أم) هنا في الآية متصلة. ذكر بعض العلماء منهم النشابوري صاحب تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، و أبو حيان صاحب البحر المحيط، والسمين الحلبي صاحب الدر المصون أن سيبويه ذهب إلى أن (أم هذه المعادلة: أي أم تبصرون الأمر الذي هو حقيقي أن يُبْصَر عنده، وهو أنه خير من موسى) وهذا القول منهم عجيب، إذ ذكر سيبويه – رحمه الله – تلك الآية في سياق معالجته (أم) المنقطعة في كتابه ضمن عنوان مستقل سماه باسم(هذا باب أم منقطعة) وبعيد منه أن يستشهد بأم المتصلة للمنقطعة. ولا أدري كيف ذهبوا إلى هذا الرأي، وما وجه استنباطهم في حق سيبويه أنه يعتبر (أم) هنا متصلة مع أنه يستشهد بهذه الآية لأم المنقطعة؛ أظن والله أعلم أن هذا الرأي في حق سيبويه وأستاده الخليل لايستند إلى دليل؛ لذا أضاف أبو حيان بعد تلك العبارة بأن(هذا القول بدأ به الزمخشري فقال: أم هذه متصلة، لأن المعنى: أفلا تبصرون؟ أم تبصرون؟ إلا أنه وضع قوله: أنا خير موضع تبصرون،

لأنهم إذا قالوا: أنت خير، فهم عنده بصراء، وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب) وليس في كلام سيبويه رحمه الله ما يشير صراحة إلى تقدير (أم تبصرون) وإنما تقديره عنده(أم أنتم بصراء) بالجملة الاسمية، وهي تدل بالصراحة على أنها عنده منقطعة. وقد رد أبو حيان على الزمشري مذهبه حيث أضاف قائلا: (وهذا القول متكلف جدا، إذ المعادل إنما يكون مقابلا للسابق، وإن كان السابق جملة فعلية، كان المعادل جملة فعلية، أو جملة اسمية يتقدر منها فعلية كقوله (أدعوتموهم أم أنتم صامتون) لأن معناه: أم صمتم؟ وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية، لأن قوله: أم أنا خير؟ ليس مقابلا لقوله: أفلا تبصرون؟ وإن كان السابق اسما، كان المعادل اسما، أو جملة فعلية يتقدر منها اسم، نحو قوله[جحدر من]: "أمخدج اليدين أم أتمَّتِ"، فأتمَّت معادل للاسم، فالتقدير: أم مُتِمًّا؟). أبو حيان، محمد بن يوسف.(1402). البحر المحيط. ج9، ص 382.

[lxxxix] – سورة المرسلات، آية: 15.

[xc] – سورة المطففين، آية: 1.

[xci] – سورة التوبة، آية: 30. وسورة المنافقون،آية: 4.

[xcii] – سيبويه.(1408-1988). الكتاب. ج1، ص332.

[xciii] – الإسراء: 69.

[xciv] – سيبويه.(1408-1988). الكتاب. ج1، ص92.

[xcv] – سورة النساء،آية:155.

[xcvi] – سيبويه.(1408- 1988). الكتاب. ج1، ص 181.

[xcvii] – المصدر السابق، ج4، ص221.

[xcviii] – سورة الحديد،آية: 29.

[xcix] – سيبويه.(1408- 1988).الكتاب. ج1، ص390.

[c] – سورة الزاريات، آية:23.

[ci] – انظر ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن على.(1422- 2001). شرح المفصل. ج5، ص74.

[cii] – سيبويه.(1408- 1988).الكتاب. ج 3، ص140- 141.

[ciii] – انظر ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن على،(1422 – 2001). شرح المفصل. ج5، ص74.

[civ] – سورة النساء،آية:155.

[cv] – يريد بضمير التثنية با الجارة و(نقضهم) مجررها.

[cvi] – يقصد (ما) الزائدة بعد الباء الجارة.

[cvii] – سيبويه، (1408- 1988).الكتاب. ج1، ص 181.

[cviii] – المصدر السابق، ج4، ص221.

[cix] – سورة البقرة، آية: 26.

[cx] – سيبويه.(1408- 1988). الكتاب. ج2، ص286.

[cxi] – سورة الزاريات، آية:23.

[cxii] – وهي قراءة حمزة، والكسائي وغيرهما من غير السبعة. انظر الفارسي، أباعلي، الحسن بن أحمد، (1413- 1993). الحجة للقراء السبعة. ج 6، ص 216.

[cxiii] – وهي قراءة بقية السبع غير حمزة والكسائي. انظر الفارسي. (1413- 1993). الحجة للقراء السبعة. ج6، ص216. وابن خالويه، الحسين بن أحمد.(1401). الحجة في القراءات السبع. ص332.

[cxiv] – يدل قول سيبويه هذا على أنه يرد رأي من يرى أن (مثلَ) بالفتح في الآية بني لتركبه مع (ما) كبناء خمسة عشر؛ أو هو مبني معها مثل بناء اسم لا لنفي الجنس مع (لا) النافية، رد الإمام هذا المذهب بدليلين، أولهما أن ما بني من الأسماء لتركبه مع الحرف مع قلته لا يجوز رفعه كما لا يجوز رفع اسم لا لنفي الجنس، وثانيهما أنه لا يجوز قياس سبب بناء مثل في الآية على سبب بناء اسم لا لنفي الجنس، لأن لا لنفي الجنس كما

هو معروف ليست زائدة و (ما) في قوله (مثل ما) زائدة، بل هي عاملة، فبناء اسمها لتركبها معها ليس مما نحن في صدده ؛ لأن (ما) هنا زائدة غير عاملة. فمذهب سيبويه في بناء (مثل) في الآية هو إضافته إلى المبني وهو (أنكم تنطقون) استدلالا بأنه يبقى مبنيا بفتحة وإن حذفت (ما) في مثل قول العرب:(هذا حق مثل ما أنك هاهنا) وقلت: مثلَ أنّك ها هنا. انظر ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن على. (1422- 2001). شرح المفصل. ج5، ص74.

[cxv] – يقصد سيبويه بالنصب هنا البناء على الفتح؛ فهو يطلق أحيانا الرفع ويريد به الضمة، كما يطلق النصب ويريد بالفتح.

[cxvi] – فبناء (مثل) في مثل هذا المثال مع حذف (ما) يدل دلالة واضحة على أن مثل لم يبن لتركبه مع (ما) كما هو مذهب أبي عثمان المازني، فبناؤه على الفتح مع حذف (ما) يدل على أن ما زائدة، و (مثل) مبني لإضافته إلى المبني.

[cxvii]– القروم: جمع قرْم، وهو الفحل من الإبل والمراد بها السادات وكبار الناس. عند بابِ: يقصد به باب الملك. تسامى: يعلو بعضهم على بعض ويرتفع فخرا. دفاعه: الدفع عن الدخول في الباب، والوصول إلى ما وراءه. كأنْ : أصله كما أنْ. (أن)مخففة من الثقيلة، اسمه ضمير شأن محذوف. يؤخذُ المرء الكريم فيقتلا: أي هو كأخذ الرجل الكريم وقتله. قاله الشاعر في وصف قوم اجتمعوا لدى باب ملك محجب، للتخاصم، وجعل دفاعل الحجاب لمن وقفوا وحجبوا شبيها بأخذ الرجل الكريم قتله.

[cxviii]– سيبويه. (1408- 1988) الكتاب. ج3، ص140- 141. يقصد الإمام أن (ما) الزائدة لا تحذف عن (كما أنَّ) إلا في الشعر خوف إلباسها بـ(كأنَّ) كما لايجوز حذف (ما) من كلمة (إمَّا)، في كلام غير شعر، وجاز حذفها في الشعر .

[cxix]– الألوسي، شهاب الدين، محمود.(1415). تفسير روح المعاني. ج14، ص11.

[cxx] – السيرافي. (2008).شرح كتاب سيبويه. ج3، ص365. يعني أن فساد زيد موجود مثل وجود صلاح عمر، فزيادة (ما) زيادة لازمة تفيد أن التشبيه انعقد بين وصف شيئين اثنين في الثبوت والحقية، لا بين الشيئين أنفسهما، فلو حذفت يحتمل أن يحمل الكلام على خلاف المراد.

[cxxi]– سيبويه. (1408- 1988). الكتاب. ج3، ص352.

[cxxii] – سورة الروم، آية:51.

[cxxiii]– سيبويه. (1408- 1988). الكتاب. ج 3، ص108.

[cxxiv] – سورة يس،آية: 15.

[cxxv] – يقصد تجريده مما ينقض معناه.

[cxxvi] – سيبويه.(1408- 1988). الكتاب. ج1، ص59.

[cxxvii]– يقصد سيبويه رحمه الله بعلم الأول العلم بالمعلوم ذاته، دون القصد إلى معرفة حقيقة نسبة الحكم إليه سلبا وإيجابا.

[cxxviii] – سورة البقرة، آية: 65.

[cxxix] – سورة الأنفال، آية: 60.

[cxxx] – سيبويه.(1408- 1988). الكتاب. ج 1، ص40.

[cxxxi] – السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله.(2008). شرح كتاب سيبويه. ج1، ص282.

[cxxxii] – سورة القصص، آية: 82.

[cxxxiii] – سورة القصص، آية: 82.

[cxxxiv] – سيبويه. (1408- 1988).الكتاب. ج2، ص 154.

[cxxxv] – السيرافي. (2008). شرح كتاب سيبويه. ج 2، ص481.

[cxxxvi] – سيبويه.(1408-1988). الكتاب. ج 2، ص154.

[cxxxvii] – سورة طه، آية: 44.

[cxxxviii] – السمين، شهاب الدين، أبوالعباس، أحمد بن يوسف.(د. ت). الدرر المصون في علم الكتاب المكنون. ج 8، ص42.

[cxxxix] – سيبويه.(1408- 1988).الكتاب.ج1، ص331.

[cxl]– السمين، أحمد بن يوسف. (د. ت). الدرر المصون في علم الكتاب المكنون. ج 8، ص42.

[cxli] – سورة الإنسان، آية: 24.

[cxlii] – سيبويه، 1408. 1988، ج3، ص 88.

[cxliii] – سورة ص، آية: 6.

[cxliv] – سورة المائدة،آية: 117.

[cxlv] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج3، ص 162.

[cxlvi]– المصدر السابق، ج3، ص152.

[cxlvii] – سورة الملك، آية:20.

[cxlviii] – سورة الطارق، آية: 4.

[cxlix] – سورة يس،آية: 32.

[cl] – سيبويه. (1408– 1988). الكتاب. ج3، ص152.

[cli] – المرجع السابق.

[clii] – سورة ص، آية: 3.

[cliii] – سيبويه.(1408– 1988).الكتاب. ج1، ص57– 58.

[cliv] – سورة النحل، آية: 62.

[clv] – سيبويه.(1408– 1988).الكتاب. ج3، ص 138.

[clvi] – المرجع نفسه.

[clvii] – سورة البقرة، آية: 280.

[clviii] – سيبويه. (1408– 1988). الكتاب. ج1، ص 53.

[clix] – سورة الأنبياء، آية: 33.

[clx] – سورة يوسف،آية: 4.

[clxi] – سورة النمل،آية: 18.

[clxii] – سورة أنبياء،آية:5.

[clxiii]– سيبويه. (1408– 1988). الكتاب. ج2، ص 47.

[clxiv]– المصدر السابق.

[clxv] – سورة النحل، آية:66.

[clxvi] – هو الأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب، أخذ منهم اللغة مباشرة. انظر الزركلي. (2002). الأعلام. ج3، ص 288).

[clxvii] – سيبويه.(1408– 1988). الكتاب. ج3، ص230. الأكياش: خلق بال، ممزق،رديء.

[clxviii] – سورة النساء،آية: 4.

[clxix]– سيبويه.(1408– 1988).الكتاب. ج1، ص209.

[clxx]– المصدر السابق، ج 1، ص210.

[clxxi] – سورة يوسف،آية: 10.

[clxxii]– سيبويه.(1408– 1988).الكتاب.ج1، ص 51– 53.

[clxxiii] – سورة البقرة، آية: 171.

[clxxiv] – سيبويه.(1408– 1988).الكتاب. ج1، ص212.

[clxxv] – سورة الزاريات،آية:23.

[clxxvi] – السيرافي. (2008). شرح كتاب سيبويه. ج3، ص365. يعني أن فساد زيد موجود مثل وجود صلاح عمر، فزيادة (ما) زيادة لازمة تفيد أن التشبيه انعقد بين وصف شيئين اثنين في الثبوت والحقية، لا بين الشيئين أنفسهما، فلو حذفت أدى إلى خلاف المراد.

[clxxvii]– (السيرافي. (2008) شرح كتاب سيبويه. ج2، ص 105.

[clxxviii] – سورة يوسف، آية: 82.

[clxxix]– سيبويه.(1408– 1988).الكتاب.ج1، ص 212.

[clxxx] – سورة سبأ، آية: 33.

[clxxxi]– سيبويه.(1408– 1988).الكتاب. ج1، ص 212.

[clxxxii]– المصدر السابق. ج1، ص 176.

[clxxxiii]– البقرة: 177.

[clxxxiv] – سيبويه.(1408– 1988).الكتاب. ج1، ص 212.